

نوادر جحا الكبرى

خليل حنا تادرس

فهرس

مُقَدِّمَة

امتلأت كتب التراث بالعديد من نوادر وأخبار جحا هــل هو حقيقة.. أم شخصية وهمية؟ وفي أي بلد عاش ومتى ولد؟ وما هي نوادره الحقيقية..؟ وما هي الوهمية.. أي التي نُسبت إليه...

ولقد بحثت في العديد من كتب الأدب.. وكتــب التــراث جامعًا الكثير من تلك النوادر، منقبًا عن شخصية جحا.

ولقد وجدت وأنا أبحث في كتاب عيون التواريخ لمؤلفــه ابن شاكر المكتوب والمخطوط بدار الكتب بهذا الــنص فــي حوادث ١٦٠ هــ وفيها توفي دجين أبو الفصن بــن ثابــت اليربوعي البصري المعروف بجحا.

وربما يكون جحا هذا غير جحا صاحب كتابنا الذي بــين يديك..

ولد نصر الدين جحا الرومي وهو تركي الأصل من أصل الأناضول، في قرية خورتو بناحية سيوري حصار، في سنة ٦٠٥ هجرية على وجه التقريب، وتوفي عام ٦٨٣ هــ، وهو إنسان مثقف تلقى علومه في آق شهر وقونيه.. تولي منصب

قاضيًا في آق شهر وكان خطيبًا في سيوري حصار، ومدرسًا.. وواعظًا، وله جرأة فائقة لمواجهة الأمراء والحكام والعلماء، وكان عفيفًا زاهدًا ناسكًا.. ضاحكًا.. فكهًا، يلقي بنوادره طوال أيام حياته، وكان هو غالبًا بطلاً لهذه النوادر التي لا حصر لها.

ولقد انتشرت نوادر جحا سواء حملت اسمه الحقيقي أم غيره عن طريق التراجم التركية إلى لغات عديدة، وبالطبع مع مرور الأعوام أضيف إليها الكثير من التراجم والطرائف.

وذكر اسم جحا في العديد من كتب التراث، ودوائر المعارف.

ففي نثر الدرر للآبي حكى الجاحظ أن اسمه نوح وكنيته أبو الغصن وأنه تجاوز المائة عام.

وذكره الميداني في مجمع الأمثال؛ إذ قال: "أحمق من جحا".

وذكر في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي؛ إذ يقول عنه مكي بن إبراهيم.

رأيت جحا رجلاً كيسًا ظريفًا وهذا الذي يقال عنه مكذوب عليه.. وكان له جيران يمازحهم ويمازحونه..

وذكر في الصحاح للجوهري.

وفي ديوان الذهبي.

وفي كتاب المنهج المطهر للقلب والفؤاد للقطب الشعراني ما نصه:

عبد الله جحا هو تابعي، كما رأيته بخط الجلال السيوطي قال: وكانت أمه خادمة لأم أنس بن مالك وكان الغالب عليه السماحة وصفاء السريرة، فلا ينبغي لأحد أن يسخر به إذا سمع ما يضاف إليه من الحكايات المضحكة.. بل يسأل الله أن ينفعه ببركاته.

وقد ذكر جحا في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري وفي لسان الميزان لابن حجر.

وذكر في كتاب مضحك العبوس، وفي صبح الأعشى وعلى الرغم من ذلك فقد اختلف بعض المؤرخين في كشف الستار عن شخصية جحا الحقيقي.. متى ولد.. ومتى مات، وما هو اسمه الحقيقي.. هل هو نوح.. أم هو عبد الله.. أم الأجين بن حارث.. أو الرجين بن ثابت..؟!

وهل هو من معاصري تيمور لنك.. أو جنكيــز خـــان.. أو هارون الرشيد؟

وهل هو من ذكره صاحب كتاب الفهرست الذي ألف عام ٣٧٧ هـــ؛ إذ يذكر أن هناك كتبًا ألفت لا يعلــم أصـــحابها، ويعد منها كتاب نوادر جحا، ويبدو أن هذا الكتاب كان مـــددًا للآبي صحاب كتاب نثر الدرر ومددًا لمن جاء بعده.

وليكن جحا هذا ما يكون؛ إذ يظهر في كل زمان ومكـــان وفي كل عصر وأوان صاحب نكتة.. هو جحا عصره.. مبدد الأحزان راسم البسمة على الشفاه.. صانع الأمل.. مزيل الألم بالنكتة والضحكة.

وليكن جحا هذا هو ما اتفق عليه العامة..

جحا الإنسان المرح.. الضحاك.. صاحب النكتة والحكمة صاحب الضحكة الحلوة..

ولقد راعيت عند تأليفي لهذا الكتاب أن أجمع أغلـــب مـــا كتب عن هذه الشخصية النادرة.. ولقد كان مـــن بـــين هـــذه المراجع التي استعنت بها العديد من كتب التراث مثـــل مـــا سبق أن ذكرته في هذه المقدمة، بالإضافة إلى كتـــاب جحـــا للكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد، وأخبـــار جحـــا

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج، ونثر الدرر والمستطرف في كل من مستظرف، وعيون التواريخ والعقد الفريد وأخبار الحمقى والمغفلين، وديل زهر الآداب وكتب الفلسفة وعلم النفس والضحك.. والعديد من كتب الفكاهة والأدب..

وأخيرًا..

أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم هذا الكتاب وفي رسم البسمة على الشفاه..

والسلام...

خليل حنا تادرس

نوادر جحا

آراء علماء النفس في فلسفة الضحك

فزيولوجية الضحك

كتب سبنسر موضوعًا عن الضحك أو بحثًا تحليليًا عن فزيولوجية الضحك، وهو يفسر عوارض الضحك الجسدية وارتباطه بالأفكار والأحاسيس التي تستدعيها.

ويقول سبنسر إن هذا كله قد يحدث ولا يحدث معه الضحك، وإنه لا بد من إتمام العوارض جميعًا من التحول المفاجئ من سياق من وجهة الشعور.

يشتغل الموسيقي بتوقيع قطعة من ألحان موسيقى بتهوفن مثلاً، فيعطس أحد الحاضرين عطسة قوية يسمعها الحاضرون خلال التوقيع؛ فيضحكون ليس من الاستماع إلى الموسيقى، شعور مكرب تتخلص منه النفس بالضحك.. ولكن الذي حدث أن العطسة غيرت مجرى الشعور أو حبسته عن المضي في طريقه المألوف، فتنقله هذه المفاجأة من أعصاب الحس إلى العضلات، ويحدث الضحك من جراء هذا الانتقال.

ويقف العاشقان على المسرح يتناجيان ويضحكان أو يتعانقان، وإذا بجدي يضل طريقه ويذهب إلى الفاسقين،

فيقطع عليهما وعلى النظارة هذه المفاجأة؛ فيحدث من هـذه المفاجأة ما أحدثته العطسة القوية أثناء سماع الموسيقى، ويضحك النظارة الذين كانوا يراقبون منظر المفاجأة، ولم يكن فيه ما يكربهم أو يحبون التخلص منه بالضحك، وإنما يغلبهم الضحك لانتقال الشعور من وجهته المطردة.. ولابد له إذن من أن ينتقل من أعصاب الحس إلى العضلات.

يقول سبنسر:

ولا يحدث هذا لجميع السامعين إذ كان فيهم من يستغرقه الشعور بالموقف، ولا يدع فيه بقية للانتقال منه والالتفاف إلى غيره، فإن هؤلاء قد يغفلون عنه أو يغضبون لتنبيههم من الشعور الذي هم مستغرقون فيه.

ويقول سبنسر:

إن المؤثرات لها في الإنسان ثلاثة منافذ:

منفذ الحس.. ومنفذ الفكر.. ومنفذ الحركة العضلية، وأنها قابلة للتحول من منفذ إلى منفذ سواء بدأت بالتفكير أو بدأت بالحس أو بدأت بحركة من العضلات.

فالرجل الذي يهرب من الخطر الداهم يجري وتشتغل عضلاته بهذه الحركة، ولكن هذه الحركة العضلية لا تستغرقه ولا تمنعه أن يفكر في الخطر، والحيلة التي يحتالها أو العمل الذي يعمله للنجاة منه.

فإذا كان الخوف أهون من الخوف على الحياة؛ فربما انصرف بالحركة، وأصبحت الحركة ضربًا من الرياضة التي يتشاغل بها الإنسان عن حالته النفسية.

والطفل يصفق إذا فرح لأن شعوره ينتقل من الأعصاب إلى العضلات، وربما فرك الرجل الكبير كفيه في مثل هذه الحالة، لأنه تعود هذا الشعور أو تعود أن يتحول عنده إلى الفكر كما يتحول إلى العضلات.

ومما يدل في رأي سبنسر على أن الضحك من حركات رد الفعل أو من الحركات الانعكاسية، أنها حركات لغير قصد أو حركات غير مقصودة بإرادة صاحبها، كأنها غمضة العين للوقاية أو رعشة البرد التي لا يريدها المريض.

وينبسط سبنسر في وصف تأثير هذه الانفعالات غير الإرادية، فيرى أن تأثير الشعور قد يعطل تفكير الخطيب على الرغم منه، وهو واقف أمام الجماهير يحس وجودها،

ويخشى أن يتعلثم أمامها أو لا ينال موافقتها وإعجابها.. ولو أنه وقف ليلقي خطابه أمام الكراسي الخالية لانطلق تفكيره بغير عائق من الحس والشعور.. وها هنا ثلاث عوامل مشتركة في التأثير على الخطيب..

- عامل الحس الذي يرى الجماهير.
- عامل الشعور إذ يخشى التقصير والخيبة.
- عامل الفكر الذي يشغل الحس والشعور جانبًا منه، فلا ينطلق مع اشتراكها كما ينطلق على انفراد.

فالسريان بين منافذ الحس والتفكير والحركة طبيعي، فأما المؤثرات النفسية وكلها تجري في مجراها الطبيعي من الفكرة إلى الحس والحركة والفكر.. أو من الحركة إلى الأحاسيس والأفكار.

غير أن الحس أو الفكر لا ينتقل إلى العضل إلا في غياب الحس والفكرة التي من قبيله.. فإذا كان الألم شديدًا جدًا يستوعب الشعور كله، فهو لا ينتقل إلى العضلات عند المفاجأة؛ لأنه يجد طريقه في اتجاه الشعور بغير عائق يصده عن مجراه.

ويستطيع من شاء أن يحقق ذلك بمنظر يذكره أو يتخيلــه على وفاق المألوف من تجاربه ومشاهداته.

إذا جلس الناس في مأتم وحدثت على مشهد منهم مفاجـأة مضحكة، فقد يضحك الغرباء عن المأتم، وقد يضحك صغار الحاضرون وإن كانوا من أهــل الميــت.. ولكــن الكبــار المفجوعين لا يضحكون لأن شعورهم يفيض فــي مجــراه ولا تشغله المفاجأة المضحكة، حتى تنتقل من الحــس إلــى حركة العضلات.. وربما أثارهم وأغضبهم أن يروا أمــامهم أحدًا يضحك وهم مغلوبون بالأسى والفجيعة.

وملاحظة سبنسر هذه مهمة جدًا في تصحيح التعريفــات الأخرى، ومنها تعريف أفلاطون وأرسطو وغيرهم للضحك؛ إذ يقولون إنه نتيجة الشعور بالسخف أو التشويه الذي لم يبلغ مبلغ الإيلام والإيذاء.

فالألم مانع للضحك لأنه يشغل الشعور بغير المضحكات، ومتى اشتغل الشعور بغير المضــحكات.. ومتــى اشــتغل الشعور بشيء آخر لم يشعر الإنسان بالجمــال ولا باللــذة.. ولا بالسرور.. وليس الأمر هنا خاصًــا بالمضــحكات دون المحاسن واللذات والمسرات.

إن المفاجأة التي تعوق الإحساس عن مجراه وتحوله إلـــى العضلات كافية وحدها للضحك ولا حاجة معها إلى اســتثناء الألم.. لأن الألم استثناء لكــل شــعور ولــيس بالاســتثناء للمضحكات دون سواها.

أما إذا كان الإحساس من القوة؛ بحيث لا تعوقه المفاجأة، فإنه يجترفها في طريقه ولا يتحول إلى العضلات، ولا يحدث الضحك مطلقًا على الرغم من جميع المفاجآت.

وإذا قال قائل عن جدول الماء إنه يجري مــا لــم يعقــه عائق، فهو لا يقول لنا شيئًا عن طبيعة المــاء دون غيــره.. فهكذا يحدث لكل متحرك أنه لا يتحرك مع وجود العائق في طريقه، سواء في ذلك حركة الماء وحركة النجــار وحركــة السهم وحركة القذيفة من أقوى المدافع والراميات.

وكذلك يكون من قبيل تحصــيل الحاصــل؛ إذ يقــال إن الضحك يحدث ما لم يمنعه الألم.. فإن الألم يحجب الشــعور بالمضحكات وغير المضحكات.. يحجب المتعة بالنكتة.. كما يجب المتعة بالجمال والجلال واللذة وبــدائع الفنــون علــى الإجمال.

وخلاصة ذلك نستنتج أن شرط المفاجــأة التـــي تتحـــول بالشعور عن مجراه.. فإذا كان الشعور جاريًا فـــي مجــراه كشعور الحزن العميق.. فالمفاجأة لا تدفعه إلى الضحك لأنها تستطيع أن تتحول بالمنظر أو المسمع.. من حس الأعصاب إلى حركة العضلات.

رأي الفلاسفة وعلماء النفس في الضحك

لقد بحث علماء النفس والفلاسفة بواعث الضحك وفوائده، فأجمعوا على أنه أعظم هبة وهبها الله للنفس البشرية، ولقد أجريت إحصائية بذلك فكان التقرير التالي:

إذا ابتسم الإنسان تحركت ثلاث عشر عضلة في وجهه وإذا غضب تحركت سبعة وأربعون.. كما أن الطفل يبدأ الابتسام خلال الشهرين الأولين من بداية حياته، ولكنه بعد خمسة أشهر يأخذ من البكاء حين يرى أمه تعبس في وجهه، لأنها هي مثله الأعلى في تعبيرات الوجه، فواجب الأمهات والمربيات إذاً مراعاة تعبيرات الوجه، فإن من طبيعة الأطفال تقليد من هم أكبر سناً.

ويقول توماس هوبسن:

للضحك وظيفتان أحدهما فسيولوجية تتعلق بالجسد والأخرى سيكولوجية تتعلق بالعقل.

وقال "باين":

ينشأ الضحك من الشعور بالتفوق على الأقران، إذا لم يكن هناك عواطف أخرى هي أقوى منه كالحزن والغضب مثلاً.

أما العلم الطبي الألماني فقد أقر المبادئ التالية:

١- كلما ضحك الإنسان أضاف مدة إلى عمره.

٢- إن نزول ماجن ببلدة لأجدى على الصحة العامة فيها من عشرين حملاً من الأدوية.

٣- الضحك يؤثر في الجسم والعقل معًا، ويساعد على الهضم، ويقوي دورة الدم، ويزيد في إفراز العرق، ويرفع القوة من كل عضو من أعضاء الجسم.

٤- إذا جلست إلى الطعام فليكن حولك أهل فكاهة وطرب.

أما العالم الهندي "جوبا لاسوامي" فقد فسر الضحك أنه مظهر لبعض الغرائز الدفاعية عن النفس، وقد أقر هذه النظرية من بعده "سبنسر" كما عللها من بعدهما جماعة من العلماء فقالوا:

الضاحك يحاول أن يدافع عن نفسه بهذه الأصوات التي يحدثها، ليدخل من روع عزيمة أنه كفء له.. بل قادر على التفوق عليه، فالضحك في هذه الحالة ستار يحتمي به الضاحك.. فكم من نكتة بارعة أحالت جوًا من العداء إلى مجلس ضاحك هازل، وقد تفعل الضحكة أكثر من الدفاع السلبي؛ إذ قد يضطر المهاجم إلى الانسحاب من الموقعة ويتحرك الميدان لخصمه.

رأي ألفرد والاس
في الضحك

إن الضحك وسائر الخصائص الإنسانية التي ينفرد بها النـــوع الإنساني، لا تقبل التفسير بالانتخاب الطبيعـــي وتطـــور أنـــواع الحيوان.. وهو يتساءل كيف يفسر لنا الانتخاب الطبيعي ملكـــات الرياضة والموسيقى والإحساس بما فوق الطبيعة؟

ويعود فيقول إن ملكة الفكاهة مـــن هـــذا الطـــراز بـــين الخصائص الإنسانية؛ لأنها تحتاج جميعًا إلى تفســـير غيـــر تفسير الصراع على الحياة وتنازع البقاء، ولو كانت من هذه الأسلحة في النوع الإنساني لما كان مفهومًا كيف يتجرد منها معظم الناس، ولا تتوفر لغير العدد القليل منها فـــي أرقـــى الحضارات.. ولا كان مفهومًا كيف يتجـــرد منهـــا الهمـــج والأوائل المطربون، كمـــا يتجـــرد منهـــا الأكثـــرون بـــين المتحضرين، فهي كما قال في تطبيقه المذهب الدارويني على الإنسان أخلق بأن تفسر بالمنحة الإلهية التـــي يختـــص بهـــا الخالق بعض الطبائع الموهوبة.. ولن تقبل التفسير بغير ذلك ولو باعتساف شديد..

رأي داروين في الضحك

ومن رأي العالم الكبير صاحب كتاب أصل الأنواع داروين، أن الضحك قد يوجد بمعزل عن التفكير، كما يلاحظ على البلهاء وصغار الأطفال الذين يضحكون، ليعبروا عن حالة الرضى والارتياح، ولا يصحبون ذلك بفكرة أو خاطرة ذهنية.. والأصحاء من الراشدين تقتربهم حالات الضحك لأسباب غير أسبابه في الطفولة ويصدق هذا على الضحك، ولكنه لا يصدق على الابتسام، وكأنما يعبرون بالضحك عن حالة مقابلة البكاء الذي يقترن بالشدة والكآبة العقلية، كما يقترن بالخوف والغضب.. ولعل شيئًا من الغرابة المفاجئة مع شيء من الشعور بالتفوق هو أشبع الأسباب لضحك الكبار الراشدين.. ومن الواجب ألا تكون الظروف على جانب عظيم من الخطر والجسامة، فإن الرجل الفقير مثلاً لا ينتظر منه أن يضحك إذا سمع فجأة أنه كسب مقدارًا كبيرًا من المال.. ولكن العقل إذا هاجه الشعور بالمسرة وطرأت عليه خاطرة غير متوقعة فالنشاط العصبي يفرج عن نفسه

بتحريك العضلات، تلك الحركة التشنجية الخفيفة التي تسميها الضحك.

ولقد قال داروين في كتابه عن تعبيرات العواطف في الإنسان، أن الجنود الألمان أثناء حصار باريس؛ كانوا يندفعون إلى الضحك لكل تفاهة من تفاهات النكتة بعد طول التعرض للخطر الشديد، ويقول مستر هنتون من سان فرنسيسكو أنه كان يتناوبه الصياح والضحك وهو على التلال عند الباب الذهبي معرض لأفدح الأخطار.. وهكذا يشاهد على الأطفال الصغار وهم يهمون بالبكاء، أن بكاءهم يتحول إلى ضحك حين يطرأ أمامهم طارئ غير متوقع، مما يفهم منه أن الضحك يفيدهم في تصريف فيض الجهد العصبي الذي يحسونه على تلك الحال.

وينظر داروين إلى أسلوب المجاز؛ حيث يقول القائل إن الخيال دغدغته فكرة مضحكة، فيلاحظ أن دغدغة الخيال مماثلة لدغدغة الجسد، ويتخذ المثل من ضحك الأطفال وتشنج أجسامهم الصغيرة بفعل الدغدغة، ثم نلاحظ أن الضحك من فكرة مازحة.. والضحك من أثر الدغدغة إلا في أمر واحد هو أن يكون الفكر في حالة راضية.. فكما أن

الطفل يصيح ولا يضحك إذا دغدغه رجل غريب واشتدت عليه حركة الدغدغة.. كذلك ينبغي أن يكون الفكر بعيدًا من الجفوة والشعور بالاكتراث والاهتمام..

وتحدث الدغدغة الجسدية في المواضع التي لا تتعرض كثيرًا للمس، ولا يكون موضع الدغدغة معروفًا قبلها، وكذلك تحدث الدغدغة الفكرية من خاطر غير معهود ولا معروف قبل ذلك.. ويبدو أن عنصر الطرود أو المنافرة الذي يجري في سياق التفكير هو العنصر القوي في تكوين المضحكات..

ثم يراقب داروين عوارض الضحك على الوجه والجسم، ويحصيها إحصاء دقيقًا في تتابعها على حسب الرخاوة أو العنف في الشعور، ويقرر أن الشعور العنيف كله يتخذ تعبيرًا واحدًا في حالتي الحزن والسرور، وأن مشاهدة ذلك ميسورة لمن يراقب الهستيريين والأطفال، لسرعة تأثرهم بأنواع الإحساس، فإنهم يتراوحون بين الضحك والبكاء في الوقت الواحد وينتقلون من الشعور إلى نقيضه، لأنهما عندهم متقاربان.. وشأن القبائل الفطرية عند داروين كشأن الأطفال في هذه الخصلة.. لأنه رأى في جزر مالطة نساء يبكين إذا استغرقن في الضحك، وروى أقوال السائحين عن سكان

استراليا الأصليين فقال إنهم يقفزون ويصـــفقون وتغـــرورق أعينهم بالدموع وهـــم مرحـــون ضـــاحكون، ثـــم قـــال إن الأستراليين والأوروبيين يتشابهون في ضحكهم جميعًا مـــن رؤية المحاكاة، ومن القبائل الفطرية في جزيرة سيلان الناس لا يضحكون لمنظر فقط من المناظر المضحكة ــ فيما رواه هارتشون لأنهم يقولون إذا سألوا مســـتغربين.. ومـــا الـــذي يدعوا إلى الضحك في هذا إذ ذاك؟ إلا أن الابتسام والضحك في جميع الأمم يجريان في مسلك واحد، فلا يستطاع وضـــع الحد الحاسم في الحركات أو المعاني بين دواعـــي الضـــحك ودواعي الابتسام.

ويبدو من دراسة داروين كلهـــا للتعبيـــرات الإنســـانية والحيوانية، أنه نتيجة بمراقبته إلى العوارض الجسدية التـــي تعم جميع بني الإنسان، وقد تعم بعض الحيوان فـــي بعـــض الأحوال والعوارض الجسدية أدق لديه من العوارض الأخرى التي لا يسهل ضبطها وتعميمها، ولا يسهل كـــذلك تعليلهـــا بالانفعالات المشتركة بين الناس من جانـــب وبـــين النـــاس والأحياء العليا من الجانب الآخر، وهو على خلاف زميله في مذهب النشوء والتطور ــ ألفرد والاس ــ موكـــل بـــالتعميم

والأشباه الشائعة دون تلك الملكة الخصوصية التي يرى صاحبه أنها مزية محدودة لا يفسرها تنازع البقاء، كأنها ملكة الإدراك الرياضي والبداهة الموسيقية وما إليها.

فبينما يهبط داروين إلى عوارض الضحك التي يقل فيها التفكير، كضحك الأطفال والعصابيين والقبائل الفطرية، يرتفع والاس إلى ملكة الفكاهة العالية التي يمتاز بها آحاد من النوابغ، فلم يزد عددهم عن عدد العباقرة الذين يكشفون خفايا الحقائق الرياضية، ودقائق النسب الموسيقية، ويعلمون الناس كيف يفهمونها ويدركونها بعقولهم وبصائرهم فلا يتيسر للكثيرين أن يجاورهم على فهمها وإدراكها

والنزعة الوجدانية هي سر الاختلاف في النظرة إلى المضحكات، فيهبط إلى مواطن الشبه بين أرق الأحياء وأقل الناس، ويعقد الصلة بين العالمين الكبيرين، فداروين يبحث عن وحدة الأنواع الحيوانية بين هؤلاء وهؤلاء بوحدة العوارض الجسدية التي تصاحب الضحك من تأثير الدغدغة أو تأثير المشاهدات الحسية، ويعنيه أن يراقب عوارض الدغدغة في القردة التي تتأثر بعض المواضع في أجسامها باللمس المفاجئ على غير المألوف.

وكل هذا لا يفسر الملكة التي يعنيها زميله والاس، ويعلو بها إلى الطبقة التي ينفرد بها الآدميون، بل ينفرد بها آحاد من الآدميين، لأن نزعته الوجدانية تتجه إلى الإيمان بالروح الإلهي ومزاياه التي يفيضها على الأرواح الإنسانية، كما تهيأت لها بهداية السماء.

ولم يزعم دارون أنه فسر الضحك كله واستوعب الكلام في أسرار المضحكات على اختلافها، وإنما أراد منها ما تثبته التعبيرات المحسوسة وتطرد فيه الملاحظة اطرادًا يقبل التعميم.

رأي برجسون في الضحك

ويستطرد الكاتب الكبير عباس محمود العقاد في كتابه عن جحا الضاحك المضحك، عن رأي الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون في الضحك قائلاً:

نحن نضحك إذا رأينا إنساناً يتصرف تصرف الآلة، ويقيس الأمور قياسًا آليًا لا محل فيه للتميز المنطقي، ولكننا نضحك في الجماعة عامة، ولا نضحك منفردين، لأن الضحك تنبيه اجتماعي أو عقوبة اجتماعية لمن يغفل عن العرف المتبع في المجلس أو في المحفل أو في الهيئة الاجتماعية بأسرها.

والضحك عند برجسون إنساني بمعاني الكلمات جميعًا.. فلا يشاهد من غير الإنسان ولا يستثيرنا الضحك في غير عمل إنساني أو عمل تربطه بالإنسان.

فنحن لا نضحك من منظر طبيعي أو من جماد كائناً ما كان، إلا إذا ربطناه بصورة إنسانية وجعلناه بإنسان نعرفه، أو منسوبًا إلى عمل من أعمال الناس، وقد نضحك من قبعة

نراها فلا يكون الضحك من القبعة، بل من الإنسان الذي يلبسها ونتصور هيئته فيها.

ومن شروط الأمر المضحك عند الفيلسوف أن يكون عملاً إنسانيًا بغير معنى، أو يكون المعنى فيه مطردًا على طريقة آلية، كأنه من أعمال الأدوات المجردة من التفكير.

ومن شروط الأمر المضحك عنده أن يحصل في جماعة أو يرتبط بالتصرف في الجماعة.

فقلما يضحك الإنسان على انفراد إلا إذا استحضر العلاقة الاجتماعية في ذهنه، وقلما ننظر إلى أحد يضحك على انفراد إلا خامرنا الشك في عقله ما لم يكن له عذر تعلمه، فلا يزال الضحك على انفراد محتاجًا إلى اعتذار وتوضيح.

لهذا يقرر برجسون أن الضحك مرتبط بالتصرف المنطقي وبالحاسة الاجتماعية، وفي وقت واحد فهو وسيلة من وسائل المجتمع لحمل أبنائه على التصرف فيه، تصرف الراشدين الذين يفقهون معنى ما يصفون.

ويفسر الفيلسوف أنواعًا كثيرة من الضحك على ضوء هذه الشروط، فيقول:

مثلاً: إن مرونة الحركة تهم الأطفال كثيرًا، فهم يضحكون من كل حركة تصطدم بغير وعي، ويفقد فيها المرء قدرته على المرونة، ويقول إن كل خلل في الحركة يضحكنا إذا قارنا بين الخلل والواقع.. وبين اللباقة التي يستدعيها تمام الخلق والتكوين والتصرف المعهود، وكثيرًا ما يضحكنا شرود الذهن، لأن الإنسان الذاهل ينسى عقله وحاسته الاجتماعية، ويتكلم أو يعمل على غير ما يقتضيه الحالة التي هو فيها.

كما أن المحاكاة تضحكنا لأنها عمل يشبه عمل الآلات وتضحكنا، لأنها تلفت النظر إلى الغفلة أو التناقص في الإنسان المحكي، لأنه يشبه بالآلات، وإذا رأينا وجهين يتشابهان تشابهًا تامًا، ضحكنا لأننا نتصور أنهما مصنوعان في قالب واحد كما تصنع الوجوه التمثيلية.

ويضحكنا أن يتحكم الجسد في الفعل والإرادة تحكمًا غير مناسب للموقف الحاضر، فنضحك من الخطيب الذي تغلبه الحماسة والعطاس في وقت واحد.

ويضحكنا أن نرى أمامنا أحدًا يطبق على الأحياء أحكام الآلات، وهذا هو سر ضحكنا من الطبيب الذي يقول

للمريض أن موته باطل، لأنه لم يجر على وفاق للأصول المتبعة.

ويضحكنا الرجل الذي تتكرر في كلامه عبارة محفوظة نتوقعها فنضحك حين نسمعها.

وهذا المثل من أمثلة برجسون جدير بالانتباه إليه، لأنه يرجح رأيه على آراء القائلين بشرط المفاجأة في الضحك.

فالرجل الذي يكرر لازمة واحدة يضحكنا حين نسمع ما ننتظره منه، فلا يقال إذن إنه يضحكنا بالمفاجأة، بل يصح فيه رأي برجسون، وهو الرأي الذي خلاصته أن المضحك من أعمال الإنسان هو الذي ينساق فيه انسياق الآلات.

ويعلل برجسون ضحك الكثيرين من النكتة الجناسية بأنها تحول الذهن من المعنويات إلى الحسيات، لأن الكلمتين المتجانستين تتشابهان في اللفظ وتختلطان في المعنى. فيتصور السامع الحركات الجسدية وهو يفكر في المعاني الأخلاقية أو الذهنية.. وهذا الضحك يشابه الضحك من الخطيب الذي تأخذه الحماسة لفكرة من الأفكار، ثم يغلبه العطاس.. فإنه في هذا الموقف مغلوب لضرورات جسده الآلية ويتصرف على الرغم منه، كما تتصرف الآلات

والحاسة الاجتماعية عند برجسون أهم من جميع الأسـباب، فالضحك إذن ملكة اجتماعية يراد بها تصحيح الخطـأ فـي معاملة الجماعة، وهو يتناول الأخطاء التـي لا تبلـغ حـد الإجرام، لأن المجتمـع يعـالج هـذه بـالجزاء القـانوني أو بالانتقام.

ويتناول الأخطاء التي يتنبأ عنها الذوق كل التنبؤ مع سوء النية، لأن المجتمع يداوي هذه بالنفوذ والاشـمئزاز، وإنمـا يكتفي بالضحك من الأخطاء التي يسهو فيها الإنسـان عـن التقاليد الاجتماعية على غير قصد وبغير نية سيئة..

فهذه الأخطاء يكفي في التحذير منها أن يتعرض صاحبها للضحك، وأن يكون هذا الضحك عقوبة على قـدر الإسـاءة المعارضة.. فيحسب في هذه الحالة كأنه قانون خفيف؛ حيث لا حاجة لتطبيق القانون الذي يحمي المجتمع مـن الجـرائم والإضرار الجسام..

بل يكاد يكون الضحك عقابًا اجتماعيًا خفيفًا لمن يـدينون بالأحكام الحرفية، ويطبقون القواعد في دقة وصرامة؛ توحي إلى الذهن أن الذي يطبقها آلة لا تفكر ولا تحس بما تصنعه، ولا تفرق بين جزاء وجزاء، وتقدير وتقدير.

ففي هذه الحالة يكون الضحك تصحيحًا للأحكام المبالغ فيها من دقتها الحرفية، لأنها صفة آلية لا تليق بالقياس المنطقي والتقدير السليم.

وخلاصة هذه الأمثلة جميعها في رأي برجسون تلخص أسباب الضحك في حماية المنطق الإنساني، وحماية الحاسة الاجتماعية على الخصوص.. فكلما هبط الإنسان من مرتبة التصرف المنطقي الذي يناسب علاقاته الاجتماعية كان ذلك مثيرًا للضحك منه، لتنبيهه إلى تقصيره على شريعة الوقوف بهذه الأخطاء عند حد لا يبلغ الإجرام، ولا يدخله سوء النية، بل يخلو من كل قصد يقصده الكائن العاقل المتصرف، فيرتد إلى الحركة الآلية التي تتجرد من المقصد في جميع الحركات.

رأي سيجموند فرويد في الضحك

إن خلاصة رأي فرويد في النكتة أنها ضرب من القصد الشعوري والعملي يلجأ إليه الإنسان في المجتمع، ليفي نفسه من أعباء الواجبات الثقيلة، ويتحلل من الحرج الذي يوقعه فيه الجسد ولوازم العمل.. وأن النكتة تشبه الحلم في أساليبه وهي التورية والتأويل والاختزال والمسخ والتلفيق.. أي جمع الصورة الواحدة من أجزاء صور متفرقة لا تجتمع في الواقع.

والناس يقولون عن الرجل إنه يمزح أو يقولون عنه إنه يحلم على السواء حين يريدون إعفاءه من المؤاخذة ولا يريدون الجد معه في المحاسبة والتحقيق، وكأنما يحتال المرء بالفكاهة على بلوغ أمر لا يبلغه بالحجة والدليل.. وكذلك يحتال في أحلامه على تحقيق الأماني التي تفوقه في اليقظة وتشغل باله على غير جدوى، فهو يستعين بالنكتة أو بالحلم على صعوبة واحدة، وهي تيسير الواقع والإعفاء من الكلفة والمشقة.

وهنا يلقي علينا فرويد إحدى فكاهاته قائلاً:

رجلان من أصحاب الملايين صنعا صورة لهما عند رسام مشهور، وعرضت الصورتان في معرض عام، وبينهما فجوة تتسع لصورة ثالثة، فقال أحد الناظرين وهو يتأمل الصورتين وينظر إلى الفجوة التي بينهما.

ها هنا متسع لصورة السيد المسيح.

وسمع الواقفون كلمته وعلموا أنه يقول عن صاحبي الملايين أنهما لصان، لأن القصة المسيحية تقول إن السيد المسيح وضع على الصليب بين لصين.. وعلموا أيضًا أنه يعني أنهما يستحقان الصلب كما استحقه أولئك اللصان ولكنهم ضحكوا..

وسمع صاحبا الصورة ما قيل، فلم يجدا سبيلاً إلى مؤاخذته أو رفع أمره إلى القضاء.. ولعلهما لو فعلا لاتهمهما الناس حقًا، وجرا على نفسيهما من السخرية ما كانا في غنى عنه.

ويريد فرويد منا في هذه النادرة وأشباهها أن تتخيل قائل النكتة، وهو يحلم ويعزي نفسه عن الحرمان من الثراء بالسرقة أو مسوقين إلى ساحة القضاء، أو مغلقين وراء

السجون، فيعمل الحلم عمل النكتـــة فـــي ترضـــية الرجـــل بأسلوبين مختلفين يصدران من باعث واحد لغاية واحدة.

ويسرد فرويد مجموعة من الفكاهات المتباينة تشترك بين الجناس والمغالطة، ورد الحيلة بحيلة من قبيلهـــا، والتفـــاهم على الكذب والأجوبة المسكتة وكشف السر عن غير قصد..

وهذه نادرة تشبه النوادر التي تروى عن قرقوش، وتصلح للدلالة على وحدة المنطق الفكاهي بين الناس علـــى تباعـــد الأقطار والأجناس.

يروي في بعض قرى المجر أن حدادًا اقتـــرف جريمـــة يعاقب عليها بالموت، فحار قاضي القرية فـــي أمـــره لأنـــه الحداد الوحيد في القرية، ولا تستغني عنه بغيره، إذا نفذ فيه الحكم، ثم اهتدى بعد تفكير إلى حل المشكلة بإعدام التـــرزي بدلاً منه لأن القرية فيها ترزيان.

ومن الأقوال المضحكة التي أستشهد فيهـــا فرويـــد قـــول الشاعر هايني من امرأة يعيبها في قالب الثناء فيقـــول إنهـــا تشبه تمثال الزهرة فينوس، لأنها مثلها عتيقة جدًا ومثلها بغير أسنان، ومثلها في البقع البيضاء على بشرتها الصفراء.

وشبيه بهذا الثناء المعكوس قول القائل عن رجل يهجوه أنه يشبه جميع العظماء، فهو كالإسكندر ينحرف رأسه إلى جانبه، وكيوليوس قيصر يكمن شيء في شعره على الدوام.. وهو يفرط في شرب القهوة إفراط ليبنتز، وينسى الأكل والشراب إذا جلس على المائدة كأنه إسحق نيوتن.. ويحتاج كما يحتاج إسحق نيوتن إلى من يوقظه، وهو يلبس الشعر المستعار كما يلبس الدكتور جونسون.. ويترك سراويله مفتوحة كمؤلف دون كيشوت.

ومن نوادر فرويد عن اليهود — وهو يهودي — أن يهوديًا رأى على لحية زميله بقايا طعام فقال له:

- إنني أستطيع أن أذكر لك الصنف الذي أكلته بالأمس.

قال زميله: حسن.. كل ودعنا نسمع.

فقال له صاحبه المتعالم:

- إنك أكلت فولاً.

فسخر منه آكل الفول وقال:

- إنك مخطئ يا هذا.. فإنني أكلته أول أمس.

وتلاقى يهوديان في القطار فسأل أحدهما الآخر:

- إلى أين تذهب؟

فأجابه الآخر:

- إلى كراكاو.

فغضب السائل وعاد يقول:

- لماذا تكذب عليَّ؟ إنك تعلم إذا قلت لي أنك ذاهب إلى كراكاو فهمت أنا أنك ذاهب إلى لمبرج.. ولكني أعلم في هذه المرة أنك ذاهب حقًا إلى كراكاو.. فلماذا الكذب؟

ويذكر فرويد من فن النكتة أسلوبًا يعتمد على اللعب بلفظة واحدة تجعل من هدفها أضحوكة سهلة.. ومن قبيل هذه النكات قول مزاح مشهور.. أن فلانًا له مستقبل عظيم وراءه..

وقوله عن وزير الزراعة أنه أخفق في عمله فعاد إلى حقله.. "إنه عاد إلى مكانه أمام المحراث"...

ويذكر أسلوبًا يعتمد على اللعب بصفة واحدة تختلف مراميها.. كما قيل عن فتاة كانت على اتصال بجميع رجال الجيش..

"إنها تذكرنا بدريفوس لأن الجيش لا يصدق ببراءتها".

ويذكر المغالطة في الجواب.. ومن قبيلها أن رجلاً قصد إلى أحد المحسنين وأفهمه أنه في عسرة شديدة، وأنه يحتاج إلى قرض يسير للنجاة من كارثة محققة.

وبعد إعطائه القرض بساعة رآه المحسن يأكل في مطعم من مطاعم الطبقة العليا وأمامه طبقًا من السمك الفاخر فقال له مؤنبًا.

- أهكذا تنفق المال الذي تستعيره للضرورات لتأكل به السمك الفاخر.

فأجابه المحتال وكأنه دهش من سؤاله.

- عجبًا لك يا سيدي.. متى تظنني آكلها.. إن كنت لا آكلها مفلسًا، ولا آكلها وفي يدي ثمنها؟!

وعلى هذا النمط قصة مدرس في إحدى القرى مولع بالشراب لم يزل يدمن السكر حتى اعتزلته جميع الأسر ونفر منه تلاميذه.. فنصح له صديق قائلاً:

- إنك تستطيع أن تجمع عندك تلاميذ القرية جميعًا لـــو تركت الشراب.. فلماذا لا تحاول وتجرب؟

فأجابه المدرس السكير:

- على رسلك يا هذا.. إنما أعطـــي الـــدروس لأجـــد الشراب فهل تراني أترك الشراب لأعطي الدروس؟

وقريب من هذا اللعب بالمقابلة قول القائل في تفاهة الحياة "إنها نصفان.. نقضي نصفها الأول متطلعـــين إلـــى الثـــاني ونقضي نصفها الثاني متأسفين على الأول.

وسمع فولتير قصيدة روسو الشاعر الفرنسي الذي كتبهـــا يوجه فيها الخطاب إلى الأجيال المقبلة، نعقب عليها قائلاً:

- "هذا خطاب لا يصل إلى المرسل إليه".

وللأجوبة المسكتة نصيب وافر من أساليب الضحك عنـــد سيجموند فرويد.. وهذه أمثلة منها:

كان القيصر أغسطس يسبح في أرجاء ملكه فلمح شخصًا يشبهه كل الشبه فسأله:

- أكانت أمك تعمل في بيتنا؟

فأجابه الشبيه الجريء.

- كلا.. بل كان أبي.

وكان بعض الوعاظ الأمريكيين ينادي بحقوق السود في بلد فيه كثير من السود، فلقال له رئيسه:

- لم لا تذهب إلى كنتكي حيث يقيم أصحابك.

فسأله الواعظ المسئول:

- ألست يا مولاي تعمل على إنقاذ الأرواح من النار. فلماذا لا تذهب إلى جهنم.

ومما سبق ينبغي أن نفهم أن رأي برجسون ورأي فرويد لا يناقضان تفسير الضحك من الوجهة الجسدية، كما أجمله داروين في كتاب التعبيرات، وفصله سبنسر في مقالة عن الضحك من الوجهة الفزيولوجية، وإنهما لا يغنيان عن ذلك التفسير في النهاية سواء كان سبب الضحك مكره أو مشاهدة حسية، لأنه نتيجته هي أن يتأثر الجسد به على النمو الذي ذهب إليه سبنسر وداروين من قبل.

مفاجأة تحبس الفكر أو الشعور عن مجراه، فيتحول عنه إلى العضلات، ويبدأ الأثر في أسهل هذه العضلات حركة، ثم يسري إلى غيرها من عضلات الجسم كله إذا اشتد الباعث على الضحك.

وقول برجسون إن الضحك تنبيه اجتماعي لمن يـذهلون عن آداب البيئة، لا ينقض هذا السبب لأنه فائدة مـن فوائـد الضحك لا تفسر أسبابه، لأنها تدل على غاية من غاياته.

والفرق ظاهر بين الأسباب والغايات.

ويرجع بنا رأي فرويد إلى المفاجأة، كما يرجع بنـا رأي برجسون إليها.. فإن استخدام الضحك أحيانًا فـي الاقتصـاد الشعوري هو أيضًا من قبيل الفوائد التـي يسـتفيدها منـه، وليست الفوائد كما تقدم معطلة للأسباب.

كما أنه ليس من النوادر التي تمثل بها فرويد نادرة واحدة تخلو من المفاجأة، وتغنينا عن تفسـير سبنسـر أو تفسـير داروين.. فالجواب المسكت مفاجأة.. والحيلـة التـي ترتـد مفاجأة، وتكذيب الجواب الصادق لأن الصدق غير مـألوف عن صاحبه مفاجأة.. وسائر النوادر التي نقلناها أو لم ننقلهـا ترجع بنا إلى علة المفاجأة من أقرب طريق..

رأي هايورت في الضحك

يتحدث هايورت عن الضحك فيقول:

الضحك ذو قيمة اجتماعية معينة لأنه الإشارة إلى زوال الخطر، وأما كلمة الضحك نفسها وهي التي وردت في التوراة فقد عللها الفيلسوف "جوزيف ألبو" بقوله:

"الضحك بالعبرية" سحوق وهي تدل على الفرح، كما جاء عن إبراهيم عليه السلام.. "إنه خر على وجهه وضحك" ومعنى ذلك أنه كان فرحًا بما سمع.

لقد أجمع العلماء على القول إن الضحك خصيصة إنسانية لا تزال أسبابها ودوافعها مجهولة.. وهم يتساءلون..

لماذا يكون الضحك مصحوبًا بحركات جسدية معينة؟

ولماذا يحدث الضحك عند لمس الإبط والخاصرة أو باطن القدم إلى غير هذا، وذلك من الأماكن الحساسة في الجسم؟

وهكذا أجمع العلماء والفلاسفة على أن سريان الضحك لا يقل بين بني الإنسان عن مسرى لغاتهم نفسها، وإن اختلف بين جنس وجنس، ووطن ووطن، وقائل وقائل، عند الكلام والتعبير حتى أن بعضهم ذهب إلى أبعد من ذلك فقال:

"الضحك هو اللغة الوحيدة المشتركة بين بني الإنسان.. وهو الذي ولد قبل أن تولد اللغات واللهجات وسيبقى حتى ولو انقرضت اللغات واللهجات.

هذه هي إشارة خاطفة.. أو لمحة بسيطة عن فطرية الضحك.. ولقد قلت إن الضحك لا يعني السخرية والاستهزاء، ولكنه يعني أول ما يعني المزاح المحبب، والدعابة البريئة، والمرح المبتكر، والإجابة المثيرة، والنكتة العفوية المسكنة.. ثم إنه لا يقف عن فئة دون فئة.. أو أنه دون أمه.. بل يشترك فيه الأمم جميعًا، نبيها وفيلسوفها، ومصلحها وحكيمها، وقائدها وجنديها، وتاجرها وعاملها، وشاعرها وأديبها، وزعيمها وصعلوقها، وغنيها وفقيرها، وقويها وضعيفها، وعالمها وجاهلها..

لقد ضحك كل هؤلاء وغير هؤلاء.. ولم يكتفوا بأن ضحكوا، بل إنهم قالوا في الضحك والمزاح والأنس والطرب والدعابة وما إلى ذلك أقوالاً ستبقى راسخة في الكتب والأذهان ما بقيت الأذهان والكتب.

ولعل أقوالهم تعني الدعوة الصريحة إلى إشاعة الرضى والاطمئنان، وطلاقة الوجه بين جميع بني الإنسان.. فمن ذلك قول النبي محمد ﷺ.

"**روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلت عميت**".

وقوله:

"**إني لا أمزح ولا أقول إلا حقًا**".

وقوله:

"**دخل نعيمان الجنة ضاحكًا لأنه كان يضحكني**".

وقد جاء في بعض كتب السيرة أنه ﷺ كان يضحك حتى تبدو نواجذه.

ولقد جاء في العقد الفريد إنه كان لبعض الأنصار جارية سوداء، وإنها كانت تختلف إلى السيدة عائشة، فتلعب بين يديها وتضحكها، وربما دخل النبي على عائشة فيجدها عندها فيضحكون جميعًا، وفقدها النبي مرة فقال:

- يا عائشة صاحبتك السويداء؟

فأجابت: أنها مريضة.

فجاءها النبي فوجدها في عز غرة الموت فقال لأهلها:

- إذا توفيت فآذنوني فلما توفيت آذنوه.. فشهدها وصلى عليها وقال:

"اللهم إنها كانت حريصة على أن تضحكني فأضحكها فرحًا".

وقد جاء في العقد الفريد أيضًا.

إن يوحنا وشمعون كانا بين الحواريين، وكان يوحنا لا يجلس مجلسًا إلا ضحك وأضحك من حوله.. وكان شمعون لا يجلس مجلسًا إلا بكى وأبكى من حوله، فقال شمعون ليوحنا:

- ما أكثر ضحكك كأنك قد فرغت من عملك؟

فقال له يوحنا:

- وأنت ما أكثر بكاءك كأنك قد يئست من ربك.

فأوحى الله سبحانه إلى السيد المسيح.. إن أحب السيرتين إليَّ سيرة يوحنا.

الضحك لعلاج النفس

اهتم علماء النفس بالضحك كانفعال متعدد الأنواع والألوان، ومختلف باختلاف الثقافة والمستوى الاجتماعي والبيئي، وليست هذه الظاهرة كما ظنها أفلاطون من خصائص السوقة ومميزاتهم.. بل هي مقياس الانبساط والانفتاح والانشراح في الوقت الآني للضحك.

الضحك ظاهرة نفسية تنسي متاعب الحياة اليومية، وتتجاوزها مخففة من الإجهاد والتعب العصبي، ولها وظائف إيجابية في العلاج النفسي، ومن الشفاء من بعض الآلام النفسية والعصبية.. بل وحتى في سبيل تحمل المصائب وعاديات الزمان.

يوضح الطب السيكوسوماني الباحث في العلاقات والتفاعلات المتبادلة بين الجسم والنفس، مدى ما للضحك من عميق الأهمية والإيجابية على النواحي الجثمانية للإنسان.. أثبتت على سبيل قليل الإصابة ببعض الأمراض البدنية الهامة، وهو يعيش مدة أطول من حياة المتجهم والعابس.

إن الحياة اليومية تثبت أننا نقبل ونفضل الشخص الطلق المحيا والبشوش.. فالضاحك إنسان يوحي بالتفاؤل.

يبين علم نفس الطفل أن الطفل منذ الشهر الثالث يميز الانفعالات التي يلقاها من الناس المحيطين به، فهو مثلاً يبتسم لابتسامة أمه مميزًا بذلك حالتها العاطفية دون أن تعلم.. وللوهلة الأولى كما يقول علماء النفس.

ولم يثبت علم النفس الحيواني وجود حيوان ضاحك بالمعنى الإنساني للكلمة، عدا حالات خاصة تتصف بها بعض الحيوانات العليا، مما يسمح بالقول إن الإنسان حيوان ضاحك.

لهذا الانفعال ألوان متعددة منها ما يحصل بعد زوال خوف أو ظن بذلك، ومنها ما هو نتيجة انبساط وسرور عادي، ومنها ما هو للتهكم والتشفي، أو هو حاصل تفوق وتغلب، ولا ننسى ما للضحك من وظائف متباينة عند المجانين والبلهاء، ويكون الضحك العادي في الغالب نتيجة إزاء موقف غير عادي أو غير شائع كأن نرى مثلاً، شخصًا يلبس قميصه على غير ما هو معروف..

كلما كان المجتمع أعلى وأنضج كلما أولى الفنون الإضحاكية اهتمامه وعنايته، ثم شعب وعمق في هذه الفنون.

يرى البعض أن فنون الأذن والعين.. أي فنون الموسيقى والغناء، والفنون التمثيلية وما شابهها من سينمائية وفنية، تشاد كلها على الانفعال الإنساني هذا، الخاص بالإنسان وتكون كمقياس لتمرين وسلامة ذوقه ومدى رقي وتطور أفراده وقيمته الاجتماعية المختلفة..

إذا أخذنا هذا الحادث من وجهة عمومية وجدناه صعب الكبت.. بل هو مستحيل الكتم أحيانًا.. وأحيانًا يحدث العكس إذا ما شاء الإنسان أن يمنع ضحكة.. إن البواعث والمسببات للضحك عديدة جدًا.. ويتفنن المجتمع والموهوبون في هذا المجال في أدائها وجمعها.

هناك بعض من الناس يحلقون في هذا الميدان، فينجحون في حياتهم وفي علاقاتهم الاجتماعية والشخصية.. بل قد يصبح أحيانًا سيد الإضحاك في جلسة ما، موضع انتباه الجميع وسيد الحديث وموجهه، لأنه هو الذي يكون الأنجح في احتفاء أو خلق جو سعيد ومرح في الجلسة..

يحدث لهذا الانفعال مصاحبات داخلية منها تقلص بعض العضلات كعضلات العينين مثلاً.. فيبدو الضاحك أحياناً، وقد دمعت عيناه.. كما أن عضلات أخرى تتمدد.. وقد يتمايل الجسم أو تصفق اليدان.. ثم إن عضلات داخلية عديدة تنقبض ويزداد إفراز بعض الغدد إلى جانب مشاركات فزيولوجية أخرى من مميزات الانفعالات عامة، ومنها موضوعنا هذا.. إن سلطة الأنا العليا تخف وتضعف بينما تقوى سلطة الأنا السفلى، وتبدو على السطح أعماق الانفعالات الأولية وفلتات اللسان والمكبوتات الدفينة، ويظهر الإنسان على حقيقته دون تقيد بشيء أو تمثيل..

ينطلق الضاحك على سجيته مما يساعد على فهم تكوينات شخصيته بوجه عام.. وعلى مدى عمقه ومستواه وعلى حقيقته ونواياه ونزعاته البدنية، بمعنى آخر أن تمثلات المجتمع وقيود التقاليد؛ تخف سلطانها على الضاحك في حالات الانفراج والانشراح.

دلت الإحصائيات التي قام بها بعض علماء النفس الأمريكيين على أن الشخص الضحوك يكون عادة أذكى، فهو يتفهم بسرعة أو يلتقط بدقة مواطن الجمال والنقاط التي تثير

الضحك.. كما أنه في حديثه يلح على نقاط تستلزم ملاحظة وبديهة.. أو ذكاء بوجه عام.. فالذكي إذن أسرع إلى اكتشاف الناحية المولدة للضحك.

يقول ماك روجال عن الضحك:

إنه حالة انفعالية ذات عدوى حقيقية.. إن الحزن عدوى وكذلك التجهم والعبوس، ومثله أيضًا اليأس والقنوط وما شاكله، إننا نلاحظ بسهولة أن ضحك واحد بين مجموعة ينتقل إلى الباقي من ناحية ثانية، قال هذا العالم النفساني الاجتماعي إن للضحك وظيفة حيوية تخفف الهموم النفسية ومشقات الحياة وما تحمله من متاعب، بهذا يعطي هذا الانفعال للشخص دفعًا وحيوية وطاقة ونشاطًا ويعمل على بث الحركة والنشاط في نفسيته وذلك بنسيان مؤقت، وقد يطول ويتجاهل ما يشد بالشخصية إلى أسفل، وما يهدم آنية الإنسان، ويقلص "الأنا" الاجتماعية.. بينما يجد بعض الفلاسفة في الضحك تنفيسًا ومنطلقًا، يجد فيه بعضهم استهلاكًا لطاقة حيوية فائضة.

يرى الفيلسوف برجسون في الضحك عمليات تأديبية وعقابية لكل من يخالف نظم المجتمع وتقاليده.. أي أن له

دورًا غير مباشر في الحفاظ على تمثلات المجتمع العليا وبؤساته..

لهذه الظاهرة النفسية الاجتماعية معنى آخر لدى المشوهين.. فالضحك هنا عمليات دفاعية نفسية ينسى بها المصاب ما يعالجه من آلام نفسية ومشاعر بالنقص وبالضعف.. كما أنه من ناحية ثانية وسيلة لا شعورية للانتقام للنفس والتشفي ممن هم أقوى وأصبح بدنيًا.. قد تجد أن أشد الناس ضحكًا وسخرية من هم الذين يسخرون من أنفسهم ويضحكون على ما بهم.. أما ضحكهم من الناس فقد يكون أعنف؛ إذ هم يسخرون مما يجدوه لدى غيرهم ولا يلقوه في أنفسهم.

الضحك هنا والسخرية والتهكم هو دفاع ومأمن.. وهو انتقام ورد فعل.. وهو هجوم بقصد الحماية الذاتية خاصة في النواحي السلبية، يتحول الضحك إلى عمليات تغطية أو ردود هجومية يقصد منها التعويض، وذلك بغية الملاءمة بين الشخص وبيئته التي يظنها جانية عليه..

كما أن للضحك أحياناً وظيفة يقصد منها النسيان الشعوري، والهرب الإرادي من الآلام ومنغصات العيش.. فيبدو المصاب هنا وسيلة التخلص من التوتر النفسي.

إن الضحك وسيلة جادة ونافعة من وسائل العلاج النفسي، وطريقة لمجابهة الواقع وتحمل المشاق.. كما أنه خلاق للأجواء المريحة التي تجعل الاستيعاب أسرع والعطاء أكثر وللدنيا أجمل.

كثير من مشاهير التاريخ كانوا أسياد الضحك والتنكيت، وكثيرون منهم من رأى في ذلك حفاظًا على صفاء الذهن واستعادة القوى المتبعة وشحذ القوى الفكرية والبدنية.

وخلاصة القول:

إن الضحك هو مفتاح السعادة للنفس البشرية.. ولذا فقد صدق المثل الذي يقول:

اضحك يطول عمرك.

الضحك
في الكتب المقدسة

أولاً: الضحك في القرآن الكريم:

جاءت الإشارة إلى الضحك في القرآن الكريم مرة في قصة إبراهيم.. ومرة في قصة سليمان عليهما السلام.

ففي قصة إبراهيم يقول إبراهيم حين زاره الملائكة فلم يعرفهم وخافهم، ثم بشروه بولادة إسحاق من زوجته سارة.

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

فها هنا خوف فاطمئنان فبشرى مفاجئة على غير انتظار، فتعجب، لا تملك سارة أن تجهر به فتقول: إن هذا لشيء عجيب.

كل عوامل الضحك النفسية التي ظهرت للباحثين النفسانيين في تفسيراتهم تعرضها هذه الآية الكريمة على نسقها المتتابع فتأتي بالضحك؛ حيث يأتي الضحك مطردًا في مواضعه المختلفة من تحول الشعور، طمأنينة بعد خوف، ومعرفة بعد نكران، وبشارة بما ليس في الحسبان من الولادة بعد سن اليأس وخيبة الأمل في الإنجاب.

وجاء أيضًا في القرآن الكريم عن قصة سليمان عليه السلام.

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾.

فها هنا عوامل الضحك على سجيتها ماثلة في نقائضها الرقيقة، ومصاحباتها التي تقترن بها على حسب هذه المناسبة دون غيرها، وهي مناسبة مخالفة في بعض أجزائها لمناسبة الضحك في قصة إبراهيم.

ومن الضحك ما جاء بمعنى السخرية والاستهزاء، فقد جاء في سورة المطففين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ٣٠.وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾.

وجاء أيضًا في سورة الزخرف:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾.

وفي سورة النجم عن نوح عليه السلام:

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى * وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى * فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى * هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى * أَزِفَتِ الْآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ * أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنتُمْ سَامِدُونَ * فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾.

الضحك في التوراة

ذكر الضحك في التوراة في عدة مواضع، منها إنه جــاء في المزمور الثاني.

.. إنه يسمع دعوى المغرورين فيضحك، لأنه أخبرهم بما يريده الرب على عرشه، وهذا نص المزمور.

"لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل.

"قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معًا على الرب وعلــى مسيحه، لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما.

"الساكن في السماوات يضحك.

"الرب يستهزئ بهم، وحينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجعهم بغيظه، أما أنه فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدس.

"إني أخبر من جهة قضاء الرب".

وفي سفر أشعيا يقول النبي عن الأمراء والسادة "اســمعوا كلام الرب يا رجال الهزء ـ ولاة هذا الشــعب الــذي فــي أورشليم".

وجاء في الإصحاح الأول من سفر الأمثال.

"إني دعوت فأبيتم ومددت يدي وليس من يبالي، بل رفضتم كل مشورتي ولم ترضوا توبيخي، فأنا أيضًا أضحك على بليتكم.. أشمت عند مجيء خوفكم".

وفي هذا السفر الكثير من الإشارة إلى الاستهزاء بمعنى الكبرياء والغرور والجهالة.. وقد جاء.

- المستهزئ يطلب الحكمة ولا يجدها.
- المنتقع المتكبر اسمه مستهزئ عامل بفيضان الكبرياء.
- اضرب المستهزئ فيتذكى الأحمق.
- بمعاقبة المستهزئ يصير الأحمق حكيمًا.
- المستهزئون يفتنون المدينة، أما الحكماء فيصرفون الغضب.
- الابن الحكيم يقبل تأديب أبيه والمستهزئ لا يسمع انتهارًا.

وجاء ذكر الضحك في سفر التكوين في قصة سارة، وكان بمعنى الاستغراب والاستعظام..

ويروي الإصحاح الثالث عشر عنها إنها ضحكت في باطنها، وأنها أنكرت الضحك حين سمعت من ضيوف إبراهيم سؤالاً فيه شيء من صيغة الملام.

وقالوا له:

أين سارة امرأتك؟

فقال ها هي في الخيمة.. فقال إني أرجع إليك نحو زمن الحياة أي الربيع ــ ويكون لسارة امرأتك ابن.. وكانت سارة سامعة في باب الخيمة وهو وراءه، وكان إبراهيم وسارة شيخين متقدمين في الأيام، وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء، فضحكت سارة في باطنها قائلة:

أبعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ؟ فقال الرب لإبراهيم: لماذا ضحكت سارة قائلة: أفبا لحقيقة ألد وأنا قد شخت.. هل يستحيل على الرب شيء؟ في الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن، فأنكرت سارة قائلة لم أضحك، لأنها خافت. فقال. لا بل ضحكت.

وجاء أيضًا ذكر الضحك أو الاستهزاء في سفر أيوب.

لا ترفض تأديب القدر لأنه هو يجرح ويعصب، يسحق ويداه تشفيان، في شتى شدائد ينجيك وفي سبع لا يمسك

بسوء، في الجوع يفديك من الموت وفي الحرب مـن حـد السيف من سوط اللسان، فلا تخاف من الخراب إذا جـاء... تضحك على الخراب والمحل ولا تخشى وحوش الأرض".

ومن الأمثال:

إنه من الضحك يكتئب القلب وعاقبة الفرح حزن.

ومن الجامعة:

إن الحزن خير من الضحك لأنه بكآبـة الوجـه يصـلح القلب.

الضحك في الإنجيل

جاء ذكر الضحك في إنجيل لوقا على لسان السيد المسيح؛ حيث يقول وقد رفع عينيه إلى تلاميذه.

قال:

طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله، طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون، طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون.

قالوا في الضحك

قال الإمام علي (عليه السلام):

من كانت فيه دعابة فقد برئ من الكبر.

وكان ابن عباس (رضي الله عنه) إذا جلس مع أصحابه حدثهم ساعة ثم قال قمضونا، فيأخذ في أحاديث العرب، ثم يعود يفعل ذلك مرارًا.

وقال الإمام الحسن:

إن هذه القلوب تحيا وتموت، فإذا حييت فاحملوها على الناقلة، وإذا ماتت فاحملوها على الفريضة.

وقال ابن إسحاق:

كان الزهري يحدث ثم يقول هاتوا من ظرفكم، هاتوا من أشعاركم، أفيضوا في بعض ما يخف عليكم وتأنس به طباعكم فأذن الأذن حجاجة، والقلب ذو تقلب.

وقال هارون الرشيد:

النوادر تشحذ الأذهان وتفتق الآذان.

وقال فرويد:

"إن الفكاهة نوع من الإلهام وإن الإلهام نتائج اللا شعور".

وقال أبو العباس صاحب الكامل في التاريخ:

.. ونذكر.. ونذكر في هذا الباب من كل شيء شيئًا ليكون فيه استراحة للقارئ، وانتقالاً ينفي الملل لحسن موقع الاستطراف، ونخلط فيه من الجد بشيء يسير من الهزل، ليستريح إليه القلب وتسكن إليه النفس.

قال ببير دانينوس:

- الضحك.. لعله الوحيد من بين مختلف أنواع العدوى مما يوصف للبشر.

وقال جول رونار:

- نحن في هذا العالم لكي نضحك.. فلن نستطيع أن نضحك لا في المطهر، ولا في الجحيم، وليس الضحك في الجنة مناسبًا.

جولة في عالم الضحك والمرح
ورحلة في سماء السعادة والهناء

خليل حنا تادرس

الحمار في التاريخ

جلست في منزلي أفكر.. وأفكر.. وطال بي التفكير، وقد أردت أن أحقق لنفسي شيئًا من زينة الحياة الدنيا.. ولذا فقد فكرت واستقر تفكيري على أن أشتري حمارًا.. فقد جاء في القرآن الكريم:

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾.

وإنما سميت الخيل من الخيلاء وهي منذ الأزل مطية الملوك والأمراء والجبابرة الطغاة.. ومطية أهل الحرب في الكر والفر والقتل والطعن والعياذ بالله.. ولست أنا الصابر الفقير من هؤلاء ولا أحب أن أكون من هؤلاء..

أما البغل فهو حرون بطبعه.. شرس بغرائزه، فإن شبعت تملكه الحمق والبطر، وأصبح غير مأمون الشر حتى مع صاحبه، وكأن الله قد أراد أن يجتث أصله من هذه الدنيا فجعله حيوانًا عقيمًا لا يلد.

أما الحمار.. فأليف.. وديع.. صبور.. متواضع.. ذلول.. يركبه الإنسان.. رجلاً كان أم امرأة، صبيًا أو فتاة يحمل أثقالاً لا يقدر على حملها الإنسان، ولهذا كان منذ قديم الزمان

مطية للأنبياء والصالحين، تجلى له ملاك الرب كما تقول التوراة، وتكلم فكان كلامه معجزة لبني الإنسان، وقد ركبه يسوع المسيح في رحلته إلى مصر مع والدته مريم العذراء.. ثم عادا على ظهره إلى فلسطين.. ولما دخل يسوع إلى أورشليم للمرة الأخيرة، دخلها راكبًا جحش بن أتان كما يقول الإنجيل، وكذلك النبي محمد عليه الصلاة والسلام ركب الحمار وقد جاء في الحديث عن أنس بن مالك ﷺ.. أن النبي ﷺ كان يعود المريض، ويشيع الجنائز ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد، وقد رؤي في يوم قريظة والنظر على حمار محظوم بحبل من ليف وعليه أكاف من ليف.

ونحن..

معشر الحكماء والأدباء والشعراء والعلماء ورثة الأتقياء والأنبياء بهم نقتدي.. وبهديهم نهتدي، فلا أقل من أن يكون لنا بهم قدوة في ركوب الحمار، ولهذا عولت نفسي على أن أشتري لنفسي حمارًا ينفعني في حلي وترحالي، ونقل متاعي وقضاء حاجاتي وتحقيق رغباتي.

والحمار أقدر وأقوى من الإنسان مثلي ومثلك فهو لا يتعب مثلما نحن نتعب.. لا يكل ولا يشتكي ولا يئن، وهو

يضرب به المثل، فعندما نرى إنسانيًا قويًا في شـــيء مـــا.. تقول له.. "أنت إيه عامل زي الحمار" أو "أنت ولا الحمـــار" ولا أقصد هنا في الغباء ولكن في القوة... ومثلاً يقال.. فلان هذا "حمار شغل"؛ ولذا فقد كان الحمار مضرب المثل.

ولهذا كله فأنا لا أفارق حماري أبدًا فهو أعز صديق لـــي ولا يمكن لنا أن نفترق.. نأكل معًا.. ونشرب معًـــا.. وننـــام معًا.. ونتنزه معًا.. وكأننا توأمين.. ولذا فقد ضرب بنا المثل جحا وحماره.. أو حمار جحا.. فإذا ما رأيتني بدون الحمـــار وهذا لن يحدث أبدًا.. فأنا لست جحا.. ولا جحا هو أنا..

مساء الخير

كان جحا كلما شاهد حماته في الليل أو النهار بادرها بالتحية.

- مساء الخير يا حماتي العزيزة.

وسأله صديقاً له:

- لماذا كلما تقابلت مع حماتك في أي وقت من الصباح أو النهار تقول لها مساء الخير..
- السبب يا أخي هو أنني كلما تقابلت مع حماتي تسود الدنيا في عيني لأنها تحول نهاري إلى ليل.

تفضل عندنا

تقابل جحا مع صديق له وسأله:

- هل تحضر إلى الغذاء عندنا؟
- وأين المنزل..؟
- في شارع السوق.
- وما رقمه..؟

أجابه جحا وهو يسير:

- الرقم مكتوب على المنزل نفسه فتفضل عندنا.

منتهى الفرح

تقابل جحا مع صديق له فقال:

- عجبًا.. لقد ظننت أنك توفيت بالأمس..
- ولماذا تظن ذلك..؟

قال جحا:

- لأني وجدت زوجتك في منتهى الفرح والسرور بالأمس.

جحا والمنجم

كان جحا جالسًا أمام منزله مهمومًا، فمر به أحد المنجمين وقال له:

- أستطيع أن أكشف لك عن مستقبلك وأعرف حاضرك بخمسين درهم فقط.

فابتسم جحا قائلاً:

- لو حقًا أنت تجيد التنبؤ لعرفت جيدًا أنني لا أملك درهمًا واحدًا أتناول به طعامي.

الدينار الناقص

كان جحا جالسًا مع بعض معارفه.. فتقدم إليه رجل من جيرانه وقال له:

- أرجو أن تصرف لي هذا الدينار.

وأراد جحا ألا يظهر أمام الناس بأنه لا يملك نقودًا فقال للرجل:

- ليس هذا وقت صرف النقود.

فألح الرجل قائلاً:

- إنني بحاجة إلى دراهم، وليس معي منها شيئًا.

فضاق به جحا وفكر في حيلة تبعده عنه، فتناول الدينار من الرجل وقلبه في يده.. ثم رده إليه قائلاً:

- هذا الدينار ينقص وزنه مقدار خمسة دراهم، فهات الدراهم الخمسة لتكون دينارًا كاملاً، وأنا أصرفه لك.

تناسخ الأرواح

كان جحا يجلس مع بعض أصدقائه يتحدثون في موضوع تناسخ الأرواح، وكيف أن الروح تنتقل من الإنسان بعد موته إلى أي جسم آخر إنسان أو حيوان..

وكان أحد السخفاء حاضرًا فتدخل في الحوار قائلاً:

- وأنا يا جحا من تظن كان صاحب روحي.

فأجابه جحا مشيرًا إلى حماره.

- هذا الحمار.

حكمة جحا

دخل لص دكان جزار، وطلب منه شيئًا من اللحم، وبينما كان الجزار يشتغل بقطع اللحم، فتح اللص الدرج، وأخذ منه نقودًا من الفضة، فلمحه الجزار فأمسك بخناقه وساقه إلى قاضي البلد (جحا)، فلما عرف حكايتهما تحير في الحكم بينهما، وجلس يفكر، ثم أمر بإحضار سلطانية فيها ماء ساخن، ووضع فيها النقود، فظهر على وجه الماء دهن قليل، فعرف جحا أن النقود للجزار فسلمها إليه وحبس اللص.

الفلفل دواء الحمار

كان لجحا حمار كسول لا يمشي إلا بالضرب، فشكا جحا إلى أصحابه ما يلاقيه من كسل الحمار وبلادته، فأشار عليه بعضهم أن يحشو فمه فلفلاً.

ففعل ذلك بالحمار، فجرى مسرعًا، فعرف جحا دواءه، وفي يوم ذهب جحا إلى الجبل ليجمع الحطب، ولما أتى الليل أراد الرجوع إلى منزله، فأحس بتعب شديد، وأنه لا يستطيع المشي لتعبه طول النهار، فتذكر دواء الحمار، فحشا فمه فلفلاً فالتهب فمه واحمر وجهه، فترك جحا الحطب، وجرى إلى منزله مسرعًا وهو يصيح كالمجنون، وأخذ يلف ويدور حول البيت.

فقالت له زوجته:

- مالك يا جحا.. ماذا أصابك؟

فقال جحا:

- لا شيء.. كان الله في عون الحمار فقد أخذت دواءه.

عجل سيئ الأدب

دخل عجل غيط جحا، وأخذ يأكل البرسيم فرآه جحا، فهم بضربه، فجرى منه العجل وذهب إلى أمه البقرة، ووقف بين أرجلها وهو خائف، فجرى جحا وراء العجل، فلما وصل إلى البقرة أخذ يضربها بالعصا.

فقال له صاحبها:

- ماذا فعلت البقرة حتى تضربها يا جحا؟

فقال جحا:

- إني أضربها لأنها لم تحسن تربية ابنها.

ـ الجريمة ـ

قال جحا للمتهم:

- إنك متهم بإلقاء حماتك من النافذة.

فأجابه المتهم:

- لقد فعلت ذلك دون أن أشعر.

فقال جحا:

- ألم تكن تعلم أنها ربما سقطت على أحد في الطريق فتصيبه بأذى؟

ـ الأطفال نعمة ـ

قال جحا لصديقه:

- كانت زوجتي مغرمة بالغناء والعزف على الموسيقى.. ولكن منذ أن رزقنا بأطفال لم يعد لديها وقت لذلك.

فأجابه الصديق قائلاً:

- ألم أقل لك دائمًا إن الأطفال نعمة من عند الله.

أصل الإنسان

قال الحمار لجحا بينما كان راكبه وهو يسير به.

- "بقى" طول عمرك راكبني وأنت أصلك قرد.

عشرة حمير

اشترى جحا عشرة حمير وكان يركب أحدهم وطوال الطريق كان يعدهم فيجدهم تسعة، ولكن عندما ينزل يجدهم عشرة، فقال الأحسن أن أظل أمشي بدلاً أن أفقد الحمار العاشر.

ضيف عزيز

قال جحا:

زارني رجل غريب الوجه.. عجيب الخلق تبينت منذ اللحظة الأولى أنه ابن سبيل، فتلقيته بالبشاشة والمرح، ورحبنا به أجمل ترحيب، فإني أعرف أن إكرام الضيف واجب، وإن لهذا عند الله ثواب عظيم.

وبعد أن بادلت الرجل التحيات والسلامات قلت له:

- إن الوقت وقت غداء وأنت قادم من سفر وليس كالسفر قدرة على إنهاك الأجسام وهضم الطعام.. فهل لك أن تتفضل مشكورًا بتناول طعامك عندي.

ولكن الرجل هز رأسه قائلاً:

- لعلك تعذرني في هذا فإنني لا أجد شهوة لـــي فـــي الطعام، ولكني ألححت عليه، فهز الرجل رأسه ملبيًا قائلاً:

- والله لا بأس من جبر الزاد إكرامًا لك ولحسن حـــظ الرجل.. أو شئت فقل لسوء حظي أنا، ولخراب بيتي أن زوجتي لم تكن في البيت.. وإلا لكـــان وجودهـــا مانعًا عن تلك الكارثة التي حلت بمعاشنا وزادنا..

- فقد نهضت بنفسي وأحضرت أربعة أرغفة من الخبز النقي الشهي، كأنها والله فـــي اســـتدارتها وبيـــاض صفحتها أربعة أقمار.. ثم وضعتهم بين يدي الرجل، وعدت إلى داخل البيت لأحضر له مـــا يجـــب مـــن الطبيخ.. ولكني عندما رجعت وجدته قد أتى علـــى الأرغفة الأربعة.. فوضعت أمامـــه مـــن الأوانـــي والأطباق ممتلئة بالطبيخ، وعدت إليه ثانية لأحضـــر له أربعة أرغفة أخرى، ولما رجعت وجدته قد أتـــى على ما في الأواني والأطباق والخبز..

- وهكذا أخذت أعيد الكرة المرة بعد الأخرى أحضـــر الخبز..

- ثم أحضر الأطباق وهو ينسف كل ما يقدم إليه نسفاً، حتى أتى على كل ما عندنا من خبز وطبيخ.. وكان يجلس متلمظًا كأنه يطلب المزيد.

وأخيرًا..

جلست إلى جانب الرجل بعد تلك المعركة الطاحنة أتأمل خلقته العجيبة وسحنته الغريبة.. وقلت له:

- إلى أي بلد يقصد الشيخ..؟
- إلى بغداد إن شاء الله.
- ألك أهل فيها أو عمل..؟
- كلا ولكني أشكو مرضًا في المعدة منذ عامين قلل من شهوتي إلى الطعام.. وقد سمعت أن في بغداد طبيبًا حاذقًا له في طب المعدة خبرة وتجربة.. فقلت أقصد إليه لعل أن يكون على يديه الشفاء لي من هذا الداء، وتعود إلى شهيتي كما كانت من قبل.

ضحكت طويلاً حتى كاد أن يغمى عليَّ من كثرة الضحك ثم قلت له:

- كتب الله لك السلامة في سفرك وفي معدتك، ولكن بربك إذا قدر لك أن تعود من بغداد، فلا تجعل طريقك من هذا البلد أو تمر على هذا البيت وأرى سحنتك..

اشتمي بلغة أخرى

قال جحا لزوجته خلال إحدى مشاجرتها معه..

- إنني لا أمانع في إنك توجهي إليَّ الشتائم.

وقالت زوجته:

- وهل هذا يغضبك..؟

- بالطبع.. لا.. ولكن أرجو أن تشتميني بأي لغة غير اللغة العربية حتى لا يفهمها الجيران.

صلي من أجلي

أعطى أحد الأغنياء جحا خمسمائة درهم، وقال له: أرجو أن تدعو لي عقيب كل صلاة من الصلوات الخمس.

فأخذ جحا أربعمائة وخمسين درهمًا منها وأعاد إليه الخمسين درهمًا قائلاً:

- يا سيدي.. إن الليل قصير.. كما أن لسان السفيه طويل، فعفوًا لأني لا أقوم لصلاة الصبح، بل أصلي الصبح قضاء، فلا حق لي بأجر صلاة الصبح تمامًا، وأستحي من الله تعالى أن آخذها، وبارك الله فيما رزق.

الرجل المطاع

كان جحا وصديقه يتحدثان عن حياتهما الزوجية فقال الأول:

- أنا في بيتي الآمر الناهي.. إذا أصدرت لزوجتي أمرًا أطاعته في الحال.. بالأمس مثلاً طلبت منها ماء ساخنًا، فقامت على الفور وأحضرت الماء الساخن..

قال الصديق:

- يبدو حقًا أنك في البيت الآخر المطاع.
- طبعًا.. لأني لا أريد أن أغسل الصحون بالمياه الباردة.

خذ الدراهم أنت أيها القاضي

بينما كان جحا يسير في السوق، إذ شعر بصفعة قوية تنزل فوق قفاه، فالتفت خلفه فزعًا وقال.. ما هذا؟

فقال الرجل الذي صفعه..

- معذرة يا صديقي؛ إذ حسبتك أحد أصدقائي الذين لا فرق بيني وبينهم..

ولكن هذا الاعتذار لم يقبله جحا، فذهب بالرجل عند القاضي وقص عليه ما حدث..

ولسوء حظ جحا كان الرجل من أصدقاء القاضي، فلما رآه جحا وسمع دعواهما؛ إذ طلب من جحا أن يصفع الرجل كما صفعه.. فلم يوافق جحا على ذلك.

فقال القاضي:

- ما دمت غير موافق على هذا الحكم، فأنا أحكم بأن يدفع لك مائة درهم عدًا ونقدًا.

فوافق جحا.. وقال للرجل..

- اذهب أنت أيها الرجل واحضر المائة درهم.

وذهب الرجل على الفور.. بل جرى مسرعًا.

وظل جحا ينتظر مجيء الرجل عدة ساعات.. ولكنه لم يحضر، فأيقن أن القاضي قد أعطى الفرصة للرجل للفرار.

فنظر جحا إلى القاضي فوجده مستغرقًا في الأوراق التي أمامه، فتقدم خلفه ورفع يده عاليًا، وهبط بها على قفاه قائلاً:

- إنني مشغول جدًا وليس عندي وقت للانتظار.. فخذ أنت الدراهم إذا جاء بها الرجل.

وانصرف جحا.

مات جوعًا

قال جحا محدثا أحد أصدقائه:

- إن الجو هنا في هذه القرية جميل ورائع، لا أحد هنا يموت أو يمرض.

قال الصديق:

- كيف تقول ذلك وقد رأيت منذ ساعة جنازة أحد الموتى.

قال جحا ضاحكًا:

- آه.. إنها جنازة (حانوتي) القرية.. لقد مات المسكين جوعًا، لأنه لم يجد من يدفنه.

خاتم جحا

فقد جحا خاتم إصبعه داخل بيته، فبحث عنه، فلم يجده داخل البيت.. فراح يبحث عنه أمام الباب، فسأله جاره.

- ماذا تفعل يا جحا؟

فأجابه جحا وهو لا يزال يحدق في الأرض.

- لقد فقدت خاتمي داخل المنزل.

فسأله الصديق..

- ولماذا لا تفتش عليه في الداخل مكان ما فقد منك.

فقال جحا بسرعة:

- الظلام حالك في الداخل ولعله قد تسلل خارجًا.

هذا اللا شيء.. أجرتك

احتدم الخلاف بين شخصين وقد مثلا أمام الحاكم وقال المدعي:

- يا سيدي.. إن هذا الرجل كان حاملاً فوق كتفه حطبًا فزلقت قدمه ووقع الحطب على الأرض وقد تناثر هنا وهناك، فطلب مني مساعدته فقلت له.

- ماذا تعطيني أجرة على عملي.. فقال لا شيء.. فوافقت وساعدته على حمل الحطب، ولكنه لم يعط اللا شيء الذي وعدني به، فأنا أريد ذلك اللا شيء أجرتي على مساعدتي له وإلا ضاعت حقوقي.

وسمع الحاكم هذه الدعوى الغريبة، فأحالها إلى "قاضي الظل"، فسمع جحا هذه الدعوة من أولها إلى آخرها، فضحك ساخرًا من الرجل فقال له.. عندك حق.. ولا بد لك أن تحصل على حقك كاملاً لا نقصان فيه..

ثم نظر جحا إلى سجادة مفروشة كانت فوق مقعده وقال للرجل.. تقدم وارفع هذه السجادة، وخذ ما تجده تحتها فتقدم الرجل باهتمام ورفعها ونظر إلى جحا قائلاً:

- لا شيء.

فقال له جحا:

- إذن خذ هذا اللا شيء حقك واغرب من وجهي أيها الأحمق.

كان لجحا خروف وقد رباه وأطعمه حتى كبـــر وســـمن وأصبح لا يقدر على الجري.. وكـــان جيرانـــه كلمـــا رأوه يقولون للشيخ:

- يا ليتك تذبح لنا هذا لخروف لتعمل به وليمة شائقة.

ويقول جحا لهم:

- يا أبنائي هذا الخروف هو سلوتي.. أترونـــه كثيـــرًا عليَّ... والله إن كلامكم يؤلمني.

وعندما علموا أن جحا لا يسمح به حقيقة اتفقوا فيما بينهم على سرقته، فأخذوه وذبحوه وأكلوا.

ولما علم جحا بما حدث؛ تظاهر بعـــدم الاكتـــراث وراح يبحث خفية عن الشخص الذي قام بالســـرقة، حتـــى عرفـــه فأضمر له الانتقام..

وبعد فترة من الزمن كان لذلك الجار نعجة، فأخذها جحا على حين غفلة منه وأكلها.. وكان صاحب النعجـــة بخـــيلاً جدًا.. فلما افتقدها ولم يجدها حزن عليها وأطلق لسانه بذكر محاسنها وصوفها الحريري الطويل، وجلـــدها حتـــى ظـــن الكثيرون أن النعجة لا مثيل لها، وأنها من خوارق السعادة.. فكان جحا يتألم لذلك.

وذات ليلة اجتمع الجيران عند جحا وبينهم ذلك الجار، فذكر نعجته ووصف لون صوفها قائلاً:

كان كالثلج بياضًا.. والحرير نعومة.. وكانت كالجمل قدرًا وكبرًا..

فاعترضه جحا وخالفه فيما يدعي.. وأصر صاحب النعجة على كلامه.. واحتدم الجدال.. فلم يكن من جحا إلا أن نادى ابنه قائلاً:

اذهب إلى بيت المؤنة واحضر جلد هذه النعجة التي يصفها هذا الرجل، وصفها أمامنا لينظر الحاضرون هل شعرها أبيض كما يزعم.. أم هو أسود؟ وهل هي بقدر الهرة أم الجمل، فيظهر للحاضرين الحق ونتخلص من حكاية النعجة التي يصفها وكأنها ناقة صالح.

وأتى الغلام بالجلد، فأدرك صاحب النعجة أن جحا قد انتقم واستعاض عن خروفه بالنعجة.

الصديق الذي مات

قال جحا عندما شاهد صديقه يصافح رجلاً آخر:

- من هذا الرجل الذي صافحته؟
- إنه الشيخ أحمد.

قال جحا:

- لقد ظننته الشيخ عبد العال.

قال الرجل:

- ولكن الشيخ عبد العال مات منذ ستة شهور..

قال جحا:

- أعرف ذلك.. ولذلك كنت في دهشة عندما رأيتك تصافحه.

الضيف والعنب

دعا جحا أحد أصدقائه لتناول الغداء معه.. وبعد أن تناولا الطعام وشربا المرطبات إلى ما بعد الغروب وجاء وقت النوم، انشد الضيف هذا البيت..

إن العادات ببلدتنا.. أن نأكل بالنوم العنبا فرد عليه جحا في سرعة..

لا عـادة فـي هـذا أبـدًا

بـل نخفيـه حقًـا وجبـا

الشيخ وزوجته

عاد الشيخ إلى منزله ليلاً متعبًا.. مرهقًا، فرأى زوجته مقطبة الوجه.. وقد كان يظن أنه سوف يجد الراحة في بيته عندما يعود..

فقال لها:

- ماذا جرى.. هل تكافئيني على اجتهادي من الصباح حتى المساء لتدبير أمور معيشتنا بهذه المقابلة الجافة.. ما معنى هذه المعاملة.. وما سبب غضبك..

فقالت له زوجته:

- ألا تعرف.. إنه بالطبع لا بد من سبب.. فقد مات طفل إحدى صديقاتي وذهبت إليها، وعزيتها ورجعت حزينة متألمة مما رأيت.. هل عرفت السبب إذن؟

فأجابها الشيخ:

- نعم أنا أعلم أنك جئت من بيت العرس حديثًا أليس كذلك؟

العقد الأزرق

كان للشيخ جحا زوجتان وقد أهدى كلا منهما عقد ودع أزرق ونبه على كل منهما قائلاً..

- إياك أن تريه إلى ضرتك لأنه دلالة حبي لك، ففي ذات يوم هجمتا عليه، وقالتا له: من تحب منا ومن مشغوف بها؟

فقال لهما:

- إني أحب من معها العقد الأزرق..

وظنت كل واحدة منهما أنه يحبها هي وحدها أكثر من الأخرى.

ــ كرامة ــ

جاء صديق لزيارة جحا فشاهده منشغلاً بغسل الصـــحون وهو يرتدي ملابس أنيقة.. وتكررت زيارة الصـــديق مــرة أخرى، فرآه بهذا المنظر فقال له:

- ينبغي أن تكون حازمًا مع زوجتك يا صديقي حرصًا على كرامتك.
- وبماذا تنصحني..؟
- يجب أن تختم عليها أن تشتري لك "فوطـــة" تلبســـها فوق ملابسك الأنيقة.

من يعلم يعلم..

جلس جحا أمام منصة الوعظ في أحد جوامع "آق شـــهر" وقال:

- أيها المؤمنون.. هل تعلمون ما سأقوله لكم؟

فأجابه السامعون: كلا لا نعلم.

قال: إذا كنتم لا تعلمون.. فما الفائدة من التكلم.. ثم خرج وانصرف.. وعاد في يوم آخر، فألقى عليهم نفس السؤال فأجابوه هذه المرة.

- أجل.. إننا نعلم..

فقال ما دمتم تعلمون ما سأقوله.. فما الفائدة من الكلام.

فحار الحاضرون في أمرهم واتفقوا فيما بينهم على أن تكون الإجابة في المرة القادمة متناقضة.. ومجموعة تقول نعم.. ومجموعة تقول لا.

ولما جاء في المرة الثالثة وسألهم نفس السؤال.. اختلفت إجاباتهم بين نعم ولا.. فقال لهم:

- حسنًا جدًا من يعلم يعلم.. ومن لا يعلم.. لا يعلم.. هيا إذن انصرفوا.. لقد علمتم كل شيء.

الطريقة الوحيدة

نشب خلاف بين ثلاث نساء، انتهى برفع الأمر إلى القاضي جحا.. ووقفن أمامه متظلمات ورحن يتكلمن في وقت واحد.

ولما لم تفلح نصائح جحا لهن بالتريث ليسمع شكوى كل منهن على حدة.. قال لهن:

- فلتتكلم أولاً أكبركن سنًا..

فسكتهن كلهن على الفور.

المرحومة أمك

جلس جحا مع زوجته لتناول الطعام فأخذت زوجته قبله ملعقة من الشوربة، وكانت ساخنة جدًا فدمعت عيناها، فسألها عن سبب بكائها، فقالت.. تذكرت المرحومة أمي فإنها كانت تحب هذا النوع من الشوربة.

أما جحا.. فما كاد يبتلع ما في ملعقته حتى سالت دموعه بكثرة فسألته زوجته..

- ولماذا أنت تبكي أيضًا..؟

أجابها جحا ضاحكًا..

- على المرحومة أمك التي ماتت وتركتك لي.

جحا.. والمهر

سافر جحا ماشيًا إلى أحد البلاد حتى أجهده التعب فجلس يستريح وتمنى أن يرزقه الله بحمار يمتطيه، وإذا بأحد الرجال الأفظاظ العتاة راكبًا على فرس خلفها مهر صغير، فلما رأى جحا جالسًا صاح به..

- قم أيها الرجل الكسول واحمل هذا المهر فقد أنهكه التعب، فتلكأ جحا.. ولكن الرجل رفع يده بالسوط وضربه، فقام جحا وحمل المهر بشق النفس، وسار وهو يكاد يسقط من الإعياء والتعب ووقع من الإجهاد، فضربه الرجل مرة أخرى بالسوط قائلاً:
- حقًا إنك شديد الكسل..

وتركه ومضى..

فتمتم جحا وأنفاسه تتقطع..

- يا ربي تمنيت أن ترسل لي حمارًا أركبه.. فبعثت إليَّ مهرًا يركبني.

ليلة زفاف جحا

أراد جحا أن يتزوج فأولم أهله وليمة كبيرة في ليلة زفافه ودعوا الناس، فأكل الضيوف جميع ما على الموائد ولم يزكوا له شيئًا، فغضب جحا ودخل حجرة ونام، ثم بعد أن انصرف الضيوف بحث عنه أهله وأهل العروس حتى وجدوه فقالوا له..

- ما لك يا رجل..؟ لماذا لا تقوم وتدخل على عروستك؟

فقال جحا:

- أنا ما لي.. من أكل الوليمة هو الذي يدخل عليها لا أنا؟!

مظاهرة ضد الخمرة

عاد جحا إلى بيته متأخرًا عن موعده فسأله أبوه:

- أين كنت يا جحا؟
- أجابه جحا..
- كنت في مظاهرة تدعو إلى منع المسكرات.
- هذا حسن.. وماذا فعلت في هذه المظاهرة؟

- كنت أحمل لوحة كتب عليها..

إذا كان وجهي يدل على الغباء، فذلك لأن أبيك كان مدمناً للخمر.

جحا والسائل

وقف سائل على باب بيته وهو يأكل، فقال السائل:

- يا أخي المسلم..

فأجاب جحا:

- فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون..

فقال السائل:

- ارحمني..

قال جحا:

- نحن إلى رحمتك أحوج منك إلى رحمتنا..

فقال السائل:

- اسمع كلامي..

قال جحا:

- لقد أسمعت لو ناديت حيًا، ولكن لا حياة لمن تنادي.

فغضب السائل وقال:

- ما أقبح فعالك، قرن الله بالخيبة أمالك.

جحا والمضيف

خرج من بلده وذهب إلى إحدى البلاد ليعظ الناس، ونزل عند أحد الأعيان، وفي الصباح دعاه المضيف ليعرف ما عند جحا من العلم، فقرأ جحا بعض الآيات والمواعظ، فكتب المضيف مثلها وكتب جحا بعض الآيات والمواعظ.. وكتب المضيف مثلها ثم قال لجحا:

- إني أقرأ مثل ما تقرأ.. وأكتب مثل ما تكتب.. وإذًا فلا فرق بيني وبينك.

فقال جحا:

- بل بيني وبينك فرق عظيم.. فأنا حضرت ماشيًا من بلدي، ولو بلغ بك الفقر مثل ما بلغ بي.. وذهبت إليَّ ماشيًا كما جئت أنا، ورددتك خائبًا مثل ما رددتني خائبًا، لتساويت أنا وأنت وأصبح لا فرق بيني وبينك.

الأطفال يحبون الحلوى

كانت زوجته حاملاً.. فلما أوشكت على الوضع تعسرت ولادتها.. فقالت له النسوة:

- أدعو الله لأن يسهل ولادتها.

فخرج مسرعًا إلى السوق.. ثم عاد ومعه بعض الحلوى ووضعها بجوار امرأته.. فقالت النساء له:

- ما هذا يا جحا..؟

فقال:

- أعرف أن الأطفال يحبون الحلوى.. ولذا جئت بحلوى ليراها المولود، فيخرج مسرعًا من بطن أمه.

محاسن الأموات

بعد أن ماتت زوجة جحا، تزوج من امرأة زوجها توفي، فكانت كثيرًا تذكر محاسن زوجها المتوفى، وكان يقابلها بالمثل، فيذكر محاسن زوجته المتوفاة.. ولكنه ضاق ذرعًا بذلك، وفي أحد الليالي وهي نائمة دفعها برجليه، فسقطت على الأرض، فغضبت وشكت ذلك لأبيها.. فقال له جحا:

- أرجو أن تنصفني فنحن أربعة أشخاص ننــام علــى سرير واحد.. أنا والمرحومــة زوجتــي.. وابنتــك والمرحوم زوجها، والسرير لا يسع أربعة أشخاص.. ولذلك تدحرجت ابنتك من فوقه فما ذنبي أنا..؟!

جحا.. والراعي

كان جحا متوجهًا إلى إحدى البلاد فقابله راعي غنم..

وقال له:

- هل أنت عالم؟

قال جحا:

- نعم.

وقد طمع في قليل من الربح.. لكنه رأى أشخاصًا مــوتى فقال له الراعي:

- أسألك سؤال لو أجبتني، أعطيك خروفًا وإلا قتلتــك، كما قتلت هؤلاء الناس لتظاهرهم بالعلم.

فقال جحا:

- اسأل..

فقال الراعي:

- في أول كل شهر يظهر هلال جديد.. فـأين يـذهب القمر القديم، وماذا يصنعون به؟

فقال جحا:

- أما تعرف أنهم يخبئونه للشتاء.. ثم يرفعونه ويصيرونه رفيعًا ويعملون منه البرق.

فقال الراعي:

- أحسنت والله هذا الذي كان يخطر على بالي.. وأعطى جحا خروفًا.

المولود سريع الولادة

تزوج جحا وبعد ثلاث أشهر أخبرته زوجته أنها ستلد، وطلبت أن يأتيها بمولدة، فقال لها:

- نحن نعرف أن النساء تلد بعد تسعة أشهر.. فما هذا؟

فغضبت الزوجة وقالت له:

- إن هذا عجيب يا رجل.. كم مضى على زواجنا.. ألم يمضي ثلاثة أشهر..

فقال:

- بلى.

فقالت:

- وقد مضى عليك متزوجًا بي ثلاثة أشهر، فصاروا ستة أليس كذلك.

فقال: بلى.

- وقد مضى على الجنين في بطني ثلاثة أشهر.. فهذه تتمة التسعة.

ففكر جحا مليًا ثم قال:

- الحق معك فأنا لم أعرف هذا الحساب الدقيق.

- فعفوًا لقد أخطأت.

جحا.. والباب

ذهبت أمه إلى عرس وتركته في البيت وقالت له:

- احفظ الباب.

فجلس إلى الظهر.. فلما أبطأت عليه قام فخلع الباب وحمله على كتفه وذهب به إليها.. فلما رأته قالت له:

- ما هذا..؟

فقال لها: قد قلت لي احفظ الباب، وها هو ذا معي وأنا أحفظه جيدًا.

رائحة الأماني

جلس مع زوجته فتمنى أن يهدى إليه خروفًا مسلوقًا، ليتخذ من لون كذا.. ولون كذا، فسمعته جارة له فظنت أنه أمر بعمل ما سمعته.. ثم انتظرت إلى وقت الطعام ثم جاءت وقرعت على الباب، وقالت:

- شممت رائحة قدوركم، فجئت لتطعموني منها.

فقال جحا لزوجته:

- أنت طالق إن أقمنا في هذه الدار التي جيرانها يتشممون رائحة الأماني.

رأس حماري

كان لحماره مقود مزين بالودع.. فسرقه أحد اللصـــوص، وبعد يومين رأى المقود المسروق في رأس حمار اللـــص.. فعجب من ذلك وقال:

- هذا الرأس رأس حماري.. ولكن كيف تبدل جسمه!؟

دجاجة زوجتي

مر به رجل فرآه يأكل دجاجة ورغيفًا فقال له:

- يا جحا اعطني قطعة..

فقال جحا:

- إنها ليست لي.. وإنما هي لامرأتي، وقـــد أعطتنـــي إياها لآكلها أنا وحدي.

جحا.. والحفار

مات جار له فأرسل جحا إلى الحفار ليحفر لـــه، فجـــرى بينهما جدال في أجرة الحفر، فمضـــى جحـــا إلـــى الســـوق واشترى خشبة بدرهمين وجاء فسأل عنه فقال:

- إن الحفار لا يحفر بأقل من خمســـة دراهـــم، وقـــد اشترينا هذه الخشبة بدرهمين لنصلبه عليها ونـــربح

ثلاثة دراهم، ويستريح من ضغطة القبـــر ومســـاءلة منكر ونكير، فصاحوا عليه وبعثوا غيره ليحفر فقال:

- والله مليح.. ما بقي أحد ينصح أحدًا.

لا أدري

جاء إلى مدينة "آق شهر" عالم كبير وسأل أهل البلدة.

- من أعظم العلماء عندكم..؟

فقالوا: جحا..

ودلوه عليه.. فلما جلس أمامه قال العالم له:

- عندي أربعون سؤالاً فهل يمكن الإجابة عليها كلهـــا في جواب واحد؟

فقال جحا:

- نعم..، هات أسئلتك..

فسرد العالم أسئلته الأربعين.. فقال له جحا:

- وهل تريد جوابًا عنها واحدًا؟

- قال العالم.. نعم.

فقال جحا:

- لا أدري بها كلها.

قال الفقير

كان يمضغ قطعة من "العلكة" اللبان في أحد المجالس فدعوه لتناول الطعام.. ولما جلس ليأكل أخرج قطعة العلكة من فمه وألصقها بأنفه، فقالوا له:

- ما هذا يا جحا..؟

فأجابهم..

- ألم يقولوا.. إن مال الفقير يجب أن يكون نصب عينيه.

جنازة جارية حبشية

ماتت لأبيه جارية حبشية، فبعث به إلى السوق ليشتري كفنًا وحملت جنازتها، فجاء جحا بعد أن حملت، فجعل يعدو بين المقابر ويقول..

- أرأيتم جنازة جارية حبشية كفنها معي؟!

كما تدين تدان

دخل يومًا إلى المقابر، فوجد امرأة عند قبر تبكي فقال لها:

- من مات لك؟

قالت: زوجي.

قال: وما كانت صنعته؟

قالت: يحفر القبور للموتى.

قال: أما علمت أنه من حفر لأخيه بئرًا أوقعه الله فيه؟ والله قد استرحت منه، لأي شيء كان حفارًا.. قد صدق من قال كما تدين تدان.

حيوانات الطاحونة

كان جحا في أحد شوارع "قونيه" فرأى دارًا مرتفعة عظيمة، فجعل يطيل فيها النظر، فقال له الخادم الواقف أمامها..

- لماذا تنظر هكذا إلى الدار؟

فقال جحا:

- إني أفكر في هذا البناء العظيم ما هو؟

فقال الخادم مازحًا وقد رأى جحا في ثيابه الرثة.

- هذه طاحونة.

فقال جحا:

- وهل حيوانات هذه الطاحونة كبيرة بنسبتها؟!

جبة السكير

كان بالبلد التي بها جحا قاضي سكير.. خرج يومًا إلى المزارع وسكر، فخلع جبته وعمامته وألقاهما جانبًا.. وخرج جحا للتنزه، فرأى القاضي على هذا الحال، فأخذ الجبة ولبسها وذهب، ولما انتبه القاضي ولم يجد الجبة رجع وكلف الحاجب أن يحضر له السارق، وبحث الحاجب فوجد جحا لابسًا إياها فأخذه إلى القاضي.. فسأله:

- من أين أتيت بهذه الجبة؟

فقال جحا:

- ذهبت أمس مع بعض أصدقائي إلى المزارع، فوجدت رجلاً سكران ملقى على الأرض في حالة مزرية فأخذت جبته ولبستها، ويمكنني أن أثبت ذلك بشهود وأريك وأري الناس من هو هذا السكير.

فقال القاضي:

- لا نريد معرفة هذا السفيه، فالبس الجبة كما تشاء ولا شأن بي بصاحبها.

يعانق ضوء القمر

كان جحا نائمًا في منزله بجوار زوجته، فشعر بوقع أقدام لص قد تسور سطح البيت، فاستيقظ وأيقظ امرأته وهمس لها.

- إني علمت أن اللص قد علا ظهر بيتنا، فأنا سأتناوم لك فأيقظيني وقولي لي "يا رجل من أين جمعت هذا المال العظيم؟

ففعلت زوجته ذلك، فقال لها:

- كنت في شبابي أسطو على المنازل، فإذا تسورت منزلاً صبرت إلى أن يطلع القمر، فأتعلق بالضوء الذي ينفذ من (المنور) وأقول شولم شولم سبع مرات، وأحتضن الضوء وأتدلى بحبل وأصعد ولا ينتبه أحد من أهل البيت..

وكان اللص يستمع إلى هذا الكلام فقال في نفسه..

- لقد غنمت شيئًا كثيرًا في هذه الليلة، أضيفه إلى المال الذي سأسرقه..

ولما نفذ ضوء القمر من المنور احتضنه اللص وقال:

- "شولم شولم" سبع مرات.. وانزلق فسقط على الأرض وتكسرت أضلاعه..

- فأسرع جحا إليه وصاح بامرأته أن تشعل المصباح قبل أن يهرب..

فقال له اللص:

- لا تعجل يا أخي.. فما دمت تعرف هذه الفائدة العظيمة، وأنا بهذه العقلية الحمقاء، فلن أستطيع الهرب منك بسهولة.

القراءة بالحلبى

جاءه شخص من جيرانه بكتاب ليقرأه.. فعسرت عليه قراءته ولم يعرف ما فيه، فقال له جحا:

- من أين جاءك هذا الكتاب؟

- هذا من مدينة حلب.

قال جحا:

- صدقت لأجل هذا ما عرفت أن أقرأه لأني لا أعرف القراءة بالحلبي، وحلب بعيدة، ولا أعرف أين أقرأ إلا الكتب التي تأتي من البلاد القريبة.

اعرفي حبل الغسيل

طلب منه جاره حبلاً ينشر عليه الغسيل، فدخل البيت ثم خرج وقال له:

- اعذرني يا جاري فإن زوجتي نشرت عليه دقيقًا.

فقال:

- يا جحا هل ينشر الدقيق على الحبال؟

فقال جحا: إذا لم تكن لي رغبة في أن أعطيك إياه، فلي الحق أن أقول نشرنا عليه الهواء.

البركة في الخروف

تسلل اللصوص ذات ليلة إلى الشارع الذي فيه داره، فسمع هو وامرأته وقع أقدامهم، فلزما الصمت، وفي تلك اللحظة مأمأ خروف كان عند جحا، فقال أحد اللصوص:

- إذا لم نجد شيئًا في هذه الليلة نسرقه، فلندخل هذا البيت ونقتل صاحبه، ونذبح خروفه ونأكله، ونأخذ امرأته.

فارتاح جحا وجعل يسعل بشدة ويحدث جلبة وضوضاء، فخاف اللصوص وفروا، فقالت له زوجته:

- أظنك خفت وجعلت تسعل وتحدث هذه الضجة، أما أنا فلم أخف.

فقال لها:

- طبعًا أنت لا يهمك شيء.. ولكن المصيبة عليَّ أنا، وعلى كل البركة في الخروف.

محاسن ابنتي

كانت لجحا بقرة وأراد أن يبيعها في السوق، فلم يشترها أحد منه فقال له الدلال:

- أنا أبيعها لك يا جحا..

ثم نادى الدلال:

- من يشتري بقرة جميلة بكرًا حبلى لها ستة أشهر..؟

فاجتمع الناس عليها واشتروها بثمن كبير، فحفظ جحا ما قاله الدلال وذهب إلى منزله، فاتفق أن حضرت الخاطبات إلى منزله وأردن أن يخطب ابنته، فدخل جحا بينهن فقلن له:

- يا جحا اخرج من بيننا.

فقال: إن أمها لا تعرف شيئًا من كمال بنتها سوى أنها تخدمها؛ وحيث إني من أهل التجربة والمعرفة وأعرف محاسن ابنتي، جئت أعدد لكن محاسنها.

فقلن له:

- صف محاسنها يا جحا..

قال جحا: إن ابنتي عاقلة كاملة.. وهي بنت بكر حبلى لها ستة أشهر، وإن لم يظهر أنه حبلى، فالمال مالي ولكم الخيار إلى ثلاثة أيام.

فضحكن منه وانصرفن عن الخطبة وغضبت زوجته وقالت له:

- أنت مجنون.. كيف تقول عن ابنتك هذا الكلام السيئ أمام الخاطبات؟

فقال لها: يا جاهلة.. أنا والله ما بعت البقرة بهذا الثمن العظيم إلا بهذه الكلمات.. ولولا ما كنت أعرف أن أبيعها أبدًا اصبري.. فإن الخاطبات سوف يبحثن عن بنت بهذه الصفات في كل البلاد، فلا يجدن ما يهرعن إلينا مرغمات، فنشترط مهرًا كبيرًا كما بعنا البقرة بثمن كبير.

إعراب خفي

قيل له هل تعرف نظم الشعر؟

قال: نعم.

قالوا: اقرأ لنا شيئًا من بليغ أشعارك.

فقرأ بيتين: آخر البيت الأول راء مضمومة.. وآخر البيت الثاني راء مكسورة.

فقالوا: يا جحا هذا بيت آخره راء.. والثاني آخره زاء.

فقال: لا شيء في ذلك اقرأ البيت الثاني بدون نقطة.

فقالوا: إن أحدهما مضموم والآخر مكسور.

فقال: يا حمير أنا أقول لكم اصرفوا النظر عن النقطة الظاهرة وأنتم تبحثون عن إعراب خفي.

من يضمن عشائي

تناول جحا طعام الغذاء عند أحد الأمراء، وبعد أن انتهى من التهام الطعام.. سأله الأمير.

- كيف وجدت طعامي يا جحا؟

وأجابه جحا..

- رديئًا يا مولاي..

فاغتاظ الأمير وقال لحراسه..

- قيئوه..

فقال جحا..

- ومن يضمن لي عشائي..

- فضحك الأمير وعفا عنه..

الحمار.. والخمر

سأل أحد المهرجين جحا قائلاً:

- إذا قدت حمارك نحو دلوين أحدهم مملـوء خمـرًا والآخر ماء.. فأيهما يفضل ويختار؟

قال جحا:

- طبعًا يفضل الماء..

قال المهرج..

- تمامًا.. ولكن لماذا؟

قال جحا..

- لأنه حمار..

حماري قارئ أفكاركم

قال جحا..

أيها السادة..

إن حماري يستطيع أن يقرأ كل شيء، ليس في الكتب فقط، ولكن كل ما تفكرون به..

الأعور

قال الأعور لجحا..

- إنني أقوى منك بصرًا..

فتعجب جحا وسأله..

- كيف ذلك إذن..؟

قال الأعور..

- لأنني عندما أنظر إليك أرى لك عينان.. أما أنت فلا ترى لي سوى عين واحدة.

جحا والقطار

كان جحا راكبًا في القطار، وبينما القطار يسير بسرعة دفع طربوشه فجأة عن رأسه إلى الشارع..

فأخرج جحا درهمًا من جيبه وألقاه إلى الطربوش قائلاً..

- خذ هذا الدرهم واتبعني في القطار القادم.

علم الموتى

نشب خلاف بين أهل بلدتنا حول طول الدنيا.. ثم جاءوا يسألونني:

- هل لك أن تفيدنا يا جحا عن طول الدنيا وكم يبلغ من الأذرع؟

قلت.. هذا من علم الموتى.. فإذا لقيتم ميتًا فاسألوه عن ذلك، لأنه ذرع الدنيا وعداها إلى الآخرة..

سمع نصحي

مات حاكم بلدتنا فسألوني أن أقرأ على قبره وألقنه فقلت:

ذلك رجل عاش في حياته لا يقبل مني نصحًا، وما أحسبه قد غير طبعه في مماته..

خلاصة الطب

كانوا في مجلس تيمور لنك يتحدثون عن الأمراض وطبعها ثم سألوني..

- ما خلاصة الطب عندك أيها الشيخ؟

قلت: الطعام الجيد والبعد عن أراذل الناس..

اسأل زوجتي

نشب الخلاف بين جحا وزوجته فصرخت فيه..

- ابعد عني لا أريد أن أرى وجهك..

وارتدى جحا ملابسه وركب حماره وخرج من البيت غاضبًا، ومشى مسافة طويلة حتى وصل إلى نهاية البلدة.. فقابله أحد جيرانه، فقال له جحا..

- إذا وصلت بسلامة الله إلى البيت ولم تقابلك زوجتك فقل لزوجتي..
- هل تريدين أن يبتعد زوجك عنك أكثر مما ابتعد ثـــم تعالى وقل لي..

ارتدى الحداد حزنًا على والد ابنه

ارتدى جحا ملابس سوداء وجلس أمام منزله فقابله صديق له.. وسأله عمن مات من عنده أو من أصدقائه..

فقال جحا..

وهل كل من يرتدي ملابس سوداء يكون قد مات له قريب أو صديق..

فقال الصديق..

- ذلك هو المعروف عند كل الناس..

قال جحا..

إذا كان الأمر كذلك فإني أرتدي الحداد حزناً على وفـــاة والد ابني...

قتلت قفطاني

عندما عاد جحا إلى منزله ليلاً خلع قفطانه فقامت زوجته وغسلت القفطان، ونشرته على حبل في حديقة البيت.. وكان الهواء شديدًا مما جعل القفطان يهتز ويتمايل..

وفي منتصف الليل نهض جحا من نومه ونظر من النافذة على الحديقة.. وكان الظلام شديدًا، فخيل إليه أن جثة كبيـــرة تتحرك وتتمايل أمامه، فأحضر بندقيته وأطلق منها رصاصة على الشبح الذي أمامه.. ثم عاد إلى فراشه لينام...

وفي الصباح نهض من نومه وذهب إلى الحديقة، فـــرأى القفطان وقد خرقته الرصاصة، فشـــكر الله وحمـــده علـــى رحمته..

فعجبت زوجته ودهشت وقالت له..

- لك كل هذا الشكر الكثير يا جحا..؟

فقال لها:

- اصمتي يا امرأة.. ألا تري أن الرصاصة قد خرقت القفطان، ولو كنت بداخله لمت قتـــيلاً.. فالحمـــد لله لأنها قتلت قفطاني ولم تصبني أنا..

الشمس والبيت

حضر إليَّ رجل من الفلاحين يشكو من أن بيته لا تدخله الشمس، وهذا ما يضر بصحة أولاده، ويسألني ماذا يصنع لتلافي هذا الخطر؟

قلت: وهل تدخل الشمس إلى مزرعتك؟

قال: إنها تغمرها من كل جانب.

قلت: إذن الأمر في غاية البساطة.. فما عليك إلا أن تنقل دارك إلى مزرعتك..

وضاع حماري

ضاع حماري فأخذت أنادي في الناس..

حماري ضاع يا أولاد الحلال.. من يجده فليأخذه فقالوا لي:

إذن لماذا تجهد نفسك في البحث عنه..

قلت: لأن العثور على المفقود لذة لا تعادلها أي لذة.. أفهمت يا حمار.. حماري ضاع يا أولاد الحلال..

الدعاء المستجاب

كنت في المسجد وكان أهل البلدة يدعون الله في صوت مرتفع.. وجلست أنا ساكنًا لا أتكلم، فقالوا لي..

- لماذا لا تدعو الله معنا يا جحا..؟

قلت:

- أريحوا أنفسكم فإن الله لا يستجيب إلا من المؤمنين الصالحين أمثالي..

الأمنية الوحيدة

قابلني ثقيل وسألني في سماحة ورذالة..

- ماذا تتمنى من الله يا جحا..؟
- أمنيتي الوحيدة أن لا أرى وجهك..

أطلق نفسي

سألني أحد الأصدقاء الأعزاء..

- هل لك يا جحا أن تتزوج..؟

قلت:

- لو استطعت لطلقت نفسي..

درجات الناس

سألني صديق..

- هل الناس من أصل واحد؟ ودم واحد؟

قلت: بالطبع لا فإن فيهم الرجال الذين خلقوا من ماء دافق، وفيهم الأنذال الذين خلقوا من ماء مهين!!

البلحة

بينما كان جحا يصلي تذكر أن في جيبه بلحة، فأخرجها من جيبه ليأكلها.. فلكزه الشخص الذي بجانبه ينهره عما فعل..

فالتفت إليه جحا قائلاً..

- تلكزني.. ما تلكزني.. والله ما معي غيرها لأعطيها لك..

أصبحت صاحب حمار

حكمة قديمة قالها الأولون..

مصائب قوم عند قوم فوائد..

ولكن والله لا أحب أن تكون لي فائدة على حساب أحد من الناس.. وكنت دائمًا أرى من النذالة أن أتمنى شرًا لغيـــري، غير أن الأقدار كثيرًا ما تأتي بما ليس في الحسبان.. وهكذا أراد الله أن تتحقق أمنيتي العزيزة من وراء هلاك غيـــري، وأن أكون صاحب حمار، ولكن من تركة صديق عزيز.

فقد مات أمام المسجد في بلدتنا.. وقد كان رجلاً طيبًا، ولم يكن له من وارث سوى زوجته وهي امرأة كهلة لا يعنيهـــا الحمار في شيء، فجاءت إليَّ وكلمتني في أن أتولى وظيفـــة زوجها في المسجد، على أن يكون الأجر بيننا مناصفة..

وجرى ريقي على هذه الوظيفة مع أنهـــا لاقـــت نصـــف دخلي.. غير أني أبديت للمرأة بعض الممانعة.. وجلسنا نذكر خصال المرحوم وحسناته وتباكينا وترحمنا.. ثم قلت لهـــا إن الذهاب إلى المسجد كل صلاة يكلفني مشقة وعناء، وليس مما يليق بي في هذا السن أن أقضي نهـــاري ذاهبًـــا آيبًـــا فـــي الطرقات قالت: خذ حمار الشيخ لتركبـــه علـــى أن تتـــولى إطعامه، فإنه يكلفني كثيرًا وليس في نيتي بيعه، لأنـــه مـــن رائحة المرحوم.. وأصبحت صاحب حمار.

مأدبة اللئام

قال جحا...

دعيت إلى وليمة عند عظيم من عظماء بلدتنا... فقلت إن ذلك فضل نناله على موائد الأغنياء في النادر القليل، وليس من اللائق أن نفرط في ذلك القليل أبدًا.. وقديمًا قيل: من دعي فليجيب، ولا يأبى الكرامة إلا لئيم، وناهيك بدعوة إلى طعام شهي يدفع الدم في الشرايين حارًا قويًا، ويكسب الجسم صحة وعافية..

وظللت أعد اللحظات وأصور للنفس ما لا سيكون على المائدة من ألوان الطعام، والحقيقة أنني كنت اليوم جائعًا حتى أقبل على المعركة، وأنا متسلح لها بسلاح الجوع الذي لا يقاوم، فما قارب الموعد حتى نهضت للأمير مهرولاً أشرف على أهل الدار، وأقترب من الجمع الحاشد لافتراس الوليمة، حتى رأيتهم يصدونني عن قصدي، ويقفون عقبة في سبيل الوليمة.. هذا ينظر إلى جبتي الممزقة ثم يدفعني بيده إلى الوراء.. وذاك يحدق في ثيابي القذرة ثم يقول لي ما هذا الوباء.. وثالث يضرب في صدري بيديه وهو يقول لي..

- ليس هنا مكان للمتسولين.

حتى الأطفال راحوا يجذبونني من ذيلي وهم يعبثون ويضحكون.. وبهذا أصبح وصولي إلى مكان الطعام أشد عسرًا من ولوج الجمل من ثقب إبرة الخياط..

فعدت خائبًا منكسر الخاطر أحمل بين جنبي حسرة أليمة على ما فاتني في تلك الوليمة.. وجعلت أعزي.. نفسي بالكلام قائلاً:

- لا بأس فهذا حظ الكرام من موائد اللئام، على أني سرعان ما تمالكت نفسي، وجمعت شتات فكري وقلت إن الطعام الشهي لا يصح التفريط فيه بهذه السهولة، ولا بأس أن يركب الإنسان في سبيله الخطر ويتلمس في الوصول إليه كل حيلة، وعلى هذا خطر لي الخاطر في معاودة الهجوم من جديد، فأسرعت إلى البيت وتقمشت ما عندي من قماش مليح وارتديت جبتي الفضفاضة الجميلة ومشيت في هيئة وقورة، حتى أشرفت على أهل الوليمة، فما رآني الحاضرون حتى أخذوا يفسحون لي الطريق ويمشون بين يدي مرحبين مسرورين، وأنا في كل ذلك أنظر إليهم في إغضاء وأرد عليهم التحية في

إباء، وما زلت حتى انتهيت إلى مكان الطعام فهيأوا لي مكان في الصدر بين الجالسين..

- وقدم الطعام ألوانًا وأصنافًا وكانت وفيرة وكثيرة وشهية، فأخذت أخوض المعركة ذات اليمين وذات اليسار، وأغوص بيدي في كل مكان والأسنان تقطع والحلق يبلع حتى امتلأت وتضلعت حتى انتهيت..

وما كان لي وقد نلت غايتي أن أنسى لأصحاب الفضل فضلهم، فسرعان ما نهضت ونزعت عني جبتي وألقيت بها على الطعام، فغاصت أطرافها الواسعة في الأطباق وامتلأت بالطعام..

وفزع الجالسون مما رأوا، وتعجبوا مما شاهدوا، وأقبلوا عليَّ يقولون..

- ما هذا أيها الشيخ الوقور الذي فعلته؟

وضحكت قائلاً..

يا أيها السادة الكرام، فما صنعت إلا الاعتراف بالجميل.. وأن الجبة تعرف من هذا ما لا تعرفون.. فلولاها لما جلست بينكم على مائدة اللئام، فهي أولى مني بالإطعام والإكرام...

وأهلكهم الله

كنت أعظ في الناس وأخذت أخوفهم من عذاب الله واليوم الآن.. ومن عمل صالحًا فلنفسه.. وشدة عقاب الله على القوم الضالين فقالوا:

- ما هذا كله يا جحا.. أليس الله يقول في كتابه.. إن الله غفور رحيم..؟!

قلت: ولكن لا تنسوا إنه أهلك قوم صالح جميعهم لأنهم عقروا ناقته..

مزرعة القطن والشعير

ذهب جحا إلى حلاق ليحلق شعر رأسه.. وكان الموس كليلاً، وكلما جره الحلاق فوق رأسه جرحه، فيضع على الجرح قطعة قطن حتى أصبح نصف رأسه كأنها مزروع قطنًا..

ولما أراد الحلاق أن يحلق النصف الآخر من رأسه قال له جحا.

- عرفنا أن هذه الناحية مزروعة قطنًا.. فماذا تريد أن تزرع في الناحية الأخرى.. شعير..؟!

ضيف الله

كنت واقفًا أمام المسجد في بلدتنا.. فجاءني رجل غريب يقول:

- إنني ضيف الله..

قلت مشيرًا إلى باب المسجد..

- ضيف الله ينزل في بيت الله وهذا بابه.

لن يستطيع أحد أن يخدعني

كان شخصًا ما يتباهى بأنه لا أحد يستطيع أن يخدعه أو يغشه.. وسمعه جحا يتباهى بذلك فقال له..

- إنني أستطيع أن أخدعك أيها الفتى المغرور..

وقال الفتى..

- لا أعتقد..

إذن قف مكانك هنا وسوف أحضر لك بعد قليل لأخدعك..

ووقف الفتى مكانه.. وظل واقفًا أكثر من ساعة.. وقد مر عليه الكثير من الناس وهو لا يزال واقفًا يتلفت حواليه، فسألوه لماذا يقف هكذا.. فحدثهم بما كان.. فضحكوا جميعًا وقالوا له..

- يا لك من غبي فها هو ذا قد خدعك، وانتصر عليك أيها الأبله المغرور..

الحق على الحمار

سرق اللصوص حمار جحا.. واجتمع الأهل والأصدقاء يواسونه، ويحاولون أن يجدوا ويعرفوا من هو السارق.. فكان منهم المواسي.. وكان منهم من يؤنبه على غفلته وغفوته..

قال أحدهم.. أين كنت عندما سرق الحمار..

وقال آخر لا بد أنك كنت نائم على أذنيك..

وقال ثالث: تستحق يا جحا.. ويجب أن تتعلم..

وقال رابع: كيف يخرج الحمار من باب الإصطبل وأنت نائم بجوار الباب..

وقال خامس ساخرًا: لا بد أن اللص ثقب الحائط من الخلف وسرق الحمار..

وهكذا راحوا يتندرون ويسخرون.. وقد نفذ صبر جحا فالتفت إليهم قائلاً..

- إنكم تقولون الحق أيها السادة ولكن هذا كله لا يفيد ولا يرجع لي حماري.. وإني أرجو منكم الإنصاف فهل كل الحق عليَّ؟ وهل اللص لا ذنب عليه أبدًا.. وأيضًا الحمار لماذا طاوع نفسه وسار مع اللص..؟ إذن الحق على الحمار وليس عليَّ أنا..

الشمس والقمر

سأل الأصدقاء جحا..

- قل لنا أيهما أكثر فائدة.. الشمس أم القمر؟

وفكر جحا لحظة ثم قال:

- بما أن الشمس تشرق صباحًا ولا تفيد ليلاً.. والقمر يبزغ ليلاً وينير الدنيا كلها ويجعلها كالنهار.. ففائدة القمر أعظم من فائدة الشمس..

الجنة والنار

سأل تيمور لنك جحا..

- إلى متى يظل الناس يتكاثرون.. يولدون ويموتون.. وأجابه جحا بسرعة..
- إلى أن تمتلئ بهم الجنة والنار.

لن أرجع في كلامي

سأل الناس جحا..

- كم عمرك الآن يا جحا؟
- أربعون عامًا..

وبعد مرور عشر سنوات سألوه فكان جوابه أيضًا..

- أربعون عامًا..

فقالوا له في استغراب..

- منذ عشرة أعوام سألناك عن عمرك فقلت أربعون.. والآن تقول كذلك..

فأجابهم على الفور..

- الرجل الحر لن يرجع في كلامه فالله واحد والقــول واحد، ولو سألني بعد مائة عام، فهذا هــو جــوابي أيضًا..

فزورة

رأى بعضهم أن يختبره فقال له فزورة..

- إن أعطيتك ما في المنديل أعطيتك واحدة منه تكفــي لعمل عجة مليحة..

قال جحا: ــ

- صفه لي ولا تذكر اسمه..

قال الصديق..

- إنه أبيض وفي وسطه صفار..

قال جحا..

- الآن عرفته.. إنه لفت حشوتموه جزرًا..

يسمع صوته من بعيد

شاهدوه يومًا وهو يغني ويجري، فسألوه..

- ما بالك تغني وتجري..؟

قال جحا..

- لأني أريد أن أسمع صوتي من بعيد..

جحا.. والفران

مر جحا بفرن تتصاعد منه رائحة الخبز الناضج وهو يشتهيه، ولا يقدر عليه لخلو يده.. فاتجه إلى الفران وسأله..

- ألك كل هذا الخبز..؟

أجابه الفران..

- نعم

قال جحا..

- ولماذا لا تأكله يا أحمق..؟

الطنبور المسروق

كان جحا يتولى منصب قاضي البلد.. وذات يوم جاءه رجل يستغيث به، لأنه وجد طنبوره المسروق مع رجل في السوق، وأراد أن يأخذه منه، فادعاه السارق لنفسه وأنكره،

فأرسل جحا في طلب البائع المتهم، وسأل صاحب الطنبور عن شهوده فجاءه بشاهدين.. أحدهما صاحب حانة.. والآخر متعطل بدون عمل، وشهد الشاهدان بأنها يعرفان الطنبور ويعرفان أنه للمدعي، وعلامته أن فيه كسرًا بأعلاه ورباطًا بأسفله، وليست مفاتيحه محكمة الشد والحركة..

وطابقت العلامة وصف الطنبور، ولكن السارق طلب تزكية الشاهدين، وقال إن شهادة الخمار والماجن لا تقبل في الشريعة..

قال جحا..

نعم وأما حين تكون الدعوى على طنبور، فالخمار والماجن أصلح الشهود..

يخلق من الشبه مثلي

رأى جحا رجلاً في الطريق لا يعرفه، فتبسط معه في الحديث ورفع الكلفة بينهما..

فعجب الرجل وسأله..

- ألك بي معرفة، فترفع الكلفة هكذا بيني وبينك؟

قال جحا:

- بل حسبتك أنا.. لأن ثيابك كثيابي.. ومشيت كمشيتي وأنت شبهي تمامًا.. ولكنك لست أنا كما علمت الآن..

البلبل العجيب

تسلق جحا شجرة يقطف من ثمرها فحضر الجنايني وفاجأه وهو متلبسًا بالسرقة، فسأله الجنايني..

- من أنت يا هذا..؟

قال جحا..

- أنا بلبل أتنقل على الأغصان..

قال الجنايني..

- أسمعني غنائك أيها البلبل العجيب..

فغنى جحا بصوت لا يسمع، ولا يشبه تغريد البلبل في شيء.. فقال الجنايني..

- ما هذا بتغريد بلابل..!!

قال جحا..

- ألم تقل إنني بلبل عجيب؟

يصلح لكل شيء

اشترى جحا رطلاً من اللحم، وذهب بـه إلـى منزلـه، وأعطاه لزوجته قائلاً:

- لماذا يصلح هذا؟

قالت: يصلح لكل شيء..

قال جحا وهو ينصرف:

- إذن اطبخي عليه كل شيء..

الدواء العجيب

طلبت منه زوجته أن يعود إليها في طريقه من المسجد بدواء منوم لطفلهما الرضيع، الذي يؤرقهما بالبكاء والصياح..

فعاد وليس معه إلا الكتاب الذي يقرأه..

قالت:

لعلك نسيت الدواء..

قال:

معاذ الله هذا هو الدواء، وقد جربته اليوم في الكبار، فناموا جميعًا.. فجربيه أنت في طفلنا هذا..

أيهما أحب إليك

جلس جحا مع زوجتيه يتسامرون.. وطاب للزوجين أن تحرجاه فسألتاه..

- من منا تحبها أكثر يا جحا..؟

قال جحا لهما..

- أنتما معًا حبيبتان إلى قلبي..

قالتا:

- لا أنك لا تستطيع أن تضحك منا بهذه المراوغة وأمامك هذه البركة نخيرك في إغراق إحدانا بها.. فمن منا تلقي بها في الماء الآن.

وحار جحا في أمره، ولكنه التفت إلى زوجته الأولى قائلاً..

- اذكر أنك تعلمت السباحة منذ زمن يا عزيزتي..

بكم تشتريني؟

سأله تيمور لنك وقد أخذه معه إلى الحمام، وخلع ملابسه إلا مئزرًا يلفه حول وسطه..

- بكم تشتريني الآن يا جحا..

وحدق جحا في المئزرة وقال:

- بخمسين دينارًا..

قال تيمور لنك في دهشة..

- إن ثمن المئزر هذا خمسون دينارًا..

وقال جحا في عدم اكتراث..

- نعم أعلم يا سيدي وهذا هو الثمن الذي حسبته..

يحكم على القاضي

جاء الشرطي برجلين إلى مجلس القضاء.. وكان جحا يجلس مع القاضي، فعرض الشرطي قضية الرجلين، وقال إنه وجد في الطريق بينهما أقذارًا ممنوعة وادعى كل منهما أن جاءه مطالبًا بإزالتها، لأنه هو الذي وضعها في عرض الطريق.

وأراد جحا أن يعبث به، ليسخر منه ويفضح دعواه، لأنه كان يدعي العلم والمعرفة، وسأله أن يقضي فيها بالحق بين الرجلين، فقبل جحا اقتراح القاضي وسأل الشرطي..

- هل كانت الأقذار أقرب إلى دار هذا.. أو دار ذاك؟

قال الشرطي: إنها كانت في الوسط بينهما..

قال جحا: إنما يزيلها إذن مولانا القاضي لأنها في الطريق العام، ومولانا القاضي هو المسئول عن المدينة..

ماذا في قلوبنا؟

ادعى جحا التقوى والصلاح وإنه صاحب كرامات.. فسأله السامعون عن كراماته، فقال لهم:

- أتريدون مني كرامة أعظم من علمي بما في قلوبكم جميعًا؟

قالوا:

- وما في قلوبنا يا جحا؟

قال:

- كلكم تقولون في قلوبكم إني كذاب!!

اسأل العمامة

عرض عليه رجل كتابًا بالفارسية ليقرأه له، فتعلل جحا برداءة الخط ورد له الكتاب..

قال صاحب الكتاب محنقاً..

- وعلام إذن تضع هذه العمامة فوق رأسك كأنها الرحى؟

فخلع جحا العمامة.. ووضعها جانبًا وقال له..

- هذه العمامة فاسألها فإنها صاحبة العلم الذي تبتغيه..

العقاب أولاً

أعطى ابنته الصغيرة جرة لتملأها، وحذرها أن تكسرها وأنذرها، لئن كسرتها ليصفعنها هكذا، وأردف الإنذار بصفعة قوية فوق وجهها أبكتها، فنظر إليه عابر طريق ولامه على ضرب الطفلة الصغيرة دون سبب جنته وقال..

- أتضربها قبل أن تكسرها...

قال: يا أحمق إنما ضربتها لتعرف ألم العقاب فتحذره.. وأما بعد كسر الجرة فما الفائدة من ضربها.؟

المنجمون الثلاث

جاء إلى بلدتنا الصغيرة ثلاثة من المنجمين يزعمون أن عندهم علم النجوم وطوالعها.. والسماء وأبعادها.. والأرض وحدودها... وقد طافوا بكثير من البلاد واجتمعوا بالعلماء والشيوخ فيها وجادلوهم فيما يعرفون من هذه العلوم السماوية والأرضية، فعجزوا جميعًا عن الإجابة والإفادة وفاز المنجمون عليهم في المناقشة والجدال، ولهذا الغرض حضروا إلى بلدتنا ليظهروا فيها على أهل العلم والمعرفة..

وفزع حاكم البلدة لقدومهم خاصة إنه ليس في بلدتنا من يستطيع أن يفوقهم علمًا ومعرفة..

واجتمع الحاكم برعيته ليختاروا أحد العلماء الذي يستطيع أن يجادلهم أو يجيبهم عما يسألون..

ووقع الاختيار عليَّ أنا..

قالوا.. وقد صدقوا فيما قالوا:

- إن جحا هو العالم العلامة والحبر الفهامة.. وهو.. وهو.. وامتلأت فخرًا وزهوًا وقتها عندما سمعت مدحهم لي وأولم الحاكم وليمة عظيمة تليق بي وبهذه

المناسبة.. ودعاني للمحاورة والمناظرة فارتديت أجمل ثيابي.. وركبت حماري وأخذت عصاي، وقصدت إلى بيت الحاكم..

وكان كثير من الناس في انتظاري.. فلما وصلت تسارعوا نحوي، وأمسكوا بلجام حماري، وأنزلوني من عليه في ترحيب بالغ.. ومائة أهلاً.. ومائة سهلاً..

وقالوا..

- هيا إلى الطعام..

وقلت أنا..

- بل هيا إلى الكلام ثم نتمتع بعدئذ بالطعام.. فأبرزوا إليَّ أيها الفلاسفة وهاتوا علمكم وأروني ما عندكم..

وساد الهدوء المكان.. وراح الجميع ينظرون إليَّ وهم مشفقون، وأقبل نحوي أحد المنجمين رافعًا يده بالسؤال قائلاً في سخرية..

- هل أنت يا جحا الذي اختاروك لتحاورنا..؟

وقلت في تواضع..

- يضع سره في أضعف خلقه، وأنا ما إلا إنسان ضعيف، ولكن الله عوض ضعفي وفقري بالعلم، فهات ما عندك أيها المنجم المتحذلق...
- إذن قل لنا هل تستطيع أن تخبرنا أين وسط الأرض؟

وقلت في تواضع وبساطة..

- عجبًا.. هل أنت من الغباء إلى هذا الحد؟ امدد عصاك حيث يضع حماري قدمه اليمنى، فإنك تجده يضعها في وسط الأرض...

قال وهو يحاول عدم الاقتناع...

- وما الدليل لديك على ذلك..

قلت:

أمامك الأرض فقس أبعادها وحدد أطرافها، فإنك سوف تتأكد مما أقول، وإلا فأنت غبي جهول...

ولم يستطع الرجل أن يتنفس أمام تلك الحجة الصادقة وعاد إلى الخلف مهزومًا خائبًا، والقوم من أمري وأمره في عجب ودهشة...

وتقدم المنجم الثاني فقال..

- أيها الشيخ العظيم.. لقد ثبت بالدليل أنك عالم بالأرض وإبعادها.. فهل لك أن تخبرني بعدد نجوم السماء..؟!

- وابتسمت وقلت..

- وهل يجهل هذا إلا الأغبياء.. أن عددها أيها الدعي عدد شعر حماري سواء بسواء...

قال في استغراب..

- كيف ذلك؟

قلت في بساطة وهدوء:

- لقد عددت النجوم وعددت شعر الحمار، فوجدت العديدين متفقين، وها هو الحمار أمامك فعد شعره تجد صدق ما أقول:

فنكس الرجل رأسه علامة التسليم.. وتراجع إلى الوراء كصاحبه..

وتقدم الرجل الثالث وقال..

- أنت يا جحا إنسان عظيم وقد شهدت لك بانتصارك على زميلاي.. ولقد بهرنا علمك بالأرض وبنجوم

السماء، فهل لك يا جحا أن تخبرني بعدد شعر لحيتي (مشيرًا إلى لحيته البيضاء)..

وضحكت وقلت..

- ذلك يعلمه صبيان بلدتنا.. فإن عدد شعر لحيتك عدد ما في ذيل حماري من شعر لا ينقص شعرة.. ولا يزيد شعرة.. تمامًا.. تمامًا..

وصمت لحظة.. ثم قلت..

- انزع شعرة من لحيتك وأخرى من ذيل حماري، فإنك سوف تجدهما متشابهين تمامًا..

وضج الجميع بالضحك والصياح وهو لا يفهم معنى عبارتي الأخيرة وانتهت معركة الكلام.. ثم جاءت معركة الطعام فكنت فيها فارس الميدان..

وخرج المنجمون الثلاث يجرون خلفهم أذيال الخيبة والعار..

ذهب الخلاف وسرق اللحاف

قال جحا..

كان الوقت ليلاً.. وكان الليل بـــاردًا.. والهـــواء البـــارد يضرب نوافذ الحجرة من كل جانـــب.. وفـــي هـــذه الليلـــة القارصة البرودة سمعت صوتًا غريبًا في عـــرض الشـــارع وضوضاء مختلفة بين أناس كـــأنهم يتشـــاجرون، فنهضـــت أستطلع الأمر وأعرف الحقيقة وحاولت زوجتـــي أن تثنينـــي عن ذلك قائلة..

- إن الأمر يعنينا في شيء.. والجور بارد.. فنم وغدًا نعرف ما الأمر.

وسمعت كلام زوجتي.. ولكني قلت بعد لحظة تفكير..

- لعل الموضوع غير عادي لأني أسمع الجلبة تـــزداد وصياح الناس وربما يكون خروجي لهم أن أحل لهم مشكلتهم التي يتنازعون عليها، فاكسب بذلك أجـــرًا من عند الله وأتيه فخرًا بين هؤلاء الناس..

وأسرعت فأخذت لحافًا جديدًا كنت قـــد اشـــتريته حـــديثًا بتحويشة العمر.. وكانت زوجتي تتباهى به بين جيرانهـــا..

أقول إنني أسرعت فوضعت اللحاف العزيز فوق كتفي ليدفئني من البرد الشديد، ثم جريت مسرعًا أزاحم بين الناس الذين تجمعوا في الظلام، وأنا أتساءل عن سبب الجلبة والضوضاء، وإذا بماكر خبيث جاء من خلفي، وخطف اللحاف من فوق كتفي وولى به هاربًا وصرخت بأعلى صوتي.. حرامي.. حرامي.. وانتظرت أن تجري خلفه الناس.. ولكن أحدًا لم يفعل ذلك.. وخيل لي أن أفعل أنا ذلك ولكن لشدة الظلام لم أتبين موضعًا لقدمي.. ثم لم ألبث أن رأيت المتجمهرين قد انفضوا من حولي.. وأصبحت أقف وحيدًا في عرض الطريق المظلم وأنا أصيح وحدي.. حرامي.. حرامي..

وطال وقوفي.. وطال صياحي.. وأخيرًا خطر لي خاطر فقلت:

- من يدريني.. ربما هذا كله مجرد أحلام وأني نائم في فراشي.. وأن اللحاف الذي اشتريته بتحويشة العمر لا يزال في بيتنا..

وأكد عندي هذا الخاطر أنه ليس من المعقول أبدًا أن أخرج إلى الشارع في مثل هذا الوقت من الليل وهذا الطقس البارد..

على أن التفكير لم يقف بي عند هذا الحد فأخذت أقول لنفسي.. أليس من الجائز أنني لست جحا.. وأن جحا نائم في البيت.. وعلى هذا الأساس أن اللحاف لم يسرق كما أظن..

وأردت أن أحسم الخلاف بيني وبين نفسي، فأسرعت قاصدًا إلى الدار لأتحقق الأمر.. فما وصلت إلى البيت حتى وجدت زوجتي واقفة في انتظار عودتي لترى ماذا حملت لها من أخبار..

ولكن.. ما أن رأيتها حتى أدركت الحقيقة المرة.. وهي أني أعيش في الواقع وليس في الحلم.. وأن كل شيء قد حدث بالفعل.. فتسمرت مكاني ورحت أحدق فيها في خوف واضطراب وهي تسألني..

- ماذا حدث يا جحا.. هل انتهى الخلاف؟

وأومأت لها برأسي دون أن أنظر إليها وأقول:

- نعم انتهى الخلاف وسرق اللحاف.

أين أبيه

سأل بعضهم ابنًا لجحا..

- ما هو الباذنجان..؟!

فقال:

- هو فرخ الجاموس الذي لم يفتح عينيه بعد..

فسمعه فقال متعجبًا..

- هو ابن أبيه.. فو الله أنه لم يعلمه ذلك أحد..

لو خلعت ثيابك

ذات يوم ذهب جحا مع تيمور لنك للصيد وقد ركب جوادًا بطيء الحركة فهطلت أمطارًا كثيرة.. فأسرع السلطان وحاشيته بالرجوع وظل جحا في البرية، فلما رأى نفسه منفردًا خلع ثيابه ووضعها تحته وسار بجواده إلى أن انقطعت الأمطار فلبس ثيابه وواصل السير إلى أن دخل على تيمور لنك.. فنظر إليه متعجبًا وقال له:

- كيف لم تبتل ثيابك..؟

قال جحا:

- الفضل للجواد يا مولاي.

فظن تيمور لنك أن الجواد أسرع به وأوصله قبل أن تبتل ثيابه، فأمر بجعل الجواد في مقدمة خيله الخاصة.

ولما كان اليوم الثاني خرج السلطان للصيد على عادته وركبا ذلك الجواد فاتفق نزول الأمطار وابتلت ثياب السلطان.. فلما وصل إلى القصر طلب جحا وراح يؤنبه على كذبه وخداعه..

فقال جحا:

- لماذا تسخط عليَّ وأنت لو خلعت ثيابك عند نزول الأمطار، كما خلعتها أنا لما أصابها شيء من البلل..

طريق آخر

كان جحا مع جماعة من الشبان في نزهة.

فاتفقوا فيما بينهم على أن يسرقوا حذاءه، فقالوا:

- من يقدر على صعود هذه الشجرة.

فقالوا:

- إننا جميعًا لا نقدر..

فانحاز منهم وجمع أطراف ثوبه، وخلع حذاءه ثم وضعه في "عبه" جيدًا وقال: ـ

- انظر كيف أصعد..

فسألوا في خبث..

لماذا تجعل حذاءك في عبك؟ وأي حاجة إليه في صعودك للشجرة:

- وكيف تعرفون يا أولادي.. فربما أجد طريقًا في الشجرة إلى البيت فاذهب منه..

حكاية مضحكة

اتفق جيران جحا في أحد أيام الشتاء الباردة على أن يجعلوه يقيم لهم مأدبة فقالوا له:

- تعالى نتفق على شيء.. فإذا غلبتنا نأدب لك مأدبة تكون لك أو عليك..

فقال لهم: ـ

- ما الشرط.. قولوا لأرى هل يمكنني القيام به أم لا..

فقالوا:

- قف في ساحة البلدة حتى الصباح ونقابلك في الجامع الكبير، فإذا فعلت ذلك كسبت الرهـــان، ويجـــب ألا يظهر شيئًا يدل على استفاد نار، فهذا شرطنا في هذه الليلة ولا تنس أن بيت فلان يطل على الساحة فهـــم يراقبونك بالمناوبة حتى الصباح..

فقال جحا: ــ

- لا تطيلوا في الكلام ويراقبني طابور عسكر.. فـــلا أهتم وسوف أنفذ الشرط..

وتبسم ساخرًا. فقام أحدهم وهو يقول:

- الله درك من بطل تفكر في المسألة جيـــدًا.. فـــالقبر وراءك وأخشى أن تموت بردًا.. فإن كان لك وصية أو دين أو دراهم فقل لنا عنها.. وأخبرنا كي نقـــوم بالوصية..

فقال جحا:

- أنا لا يهمني.. أما وقد قبلت الشرط فسأريكم كيـــف يكون جسمي الفولاذي قلبي الصخري.. وكم من ليلة نمتها في البراري والجبال وبين القبور، وليس فـــي بلدنا ذئاب أو قطاع طرق.. فلا شغل لي بالوصـــية

أو سواها ولا من أخاف فراقه.. وأما الدراهم فلا يبيت معي شيئًا منها..

وهكذا تم الاتفاق.. وبات الشيخ تلك الليلة في الساحة حتى الصباح بكل اطمئنان.. وأتى الجماعة.. فسألوه عما حدث له فقال:

- لم أسمع سوى حفيف أوراق الشجر وهبوب العواصف، ورأيت نورًا من مسافة ميل أظنه مصباحًا..

وعندئذ قام أحدهم وقال:

- لا لقد اتفقنا على أنك لا تشعل النار لأنك تدفأت تمامًا، ولذلك فقد أخللت بالشرط..

وقام الباقون مكررين قول صاحبهم، وحكموا على جحا بأن يضيفهم جميعًا.. وقد حاول إقناعهم بالبراهين ولكنهم لم يقتنعوا ولم يسمعوا.

وأخيرًا قال لهم..

- لا بأس بالضيافة عليَّ..

ودعاهم للعشاء ذات ليلة، فجاءوا منتظرين وقت الطعام ومضت ساعتان.. فقالوا له..

- أين الطعام.. فقد عضنا الجوع واستغنينا عن الضيافة فآتنا بما تيسر..

فقال:

- أيمكن هذا.. اصبروا قليلاً..

وجعلهم يصبرون إلى أن تجاوزت الساعة الثالثة بعد الغروب، فقام المدعوون كلهم وطلبوا الطعام بإلحاح عظيم.. فتظاهر جحا بالاهتمام وخرج كأنه يريد استحضار الطعام فصبروا.. وانتظروا وجحا غائب.. ثم همسوا فيما بينهم متغافرين وقال بعضهم..

- انظروا كيف يلعب بنا هذا الرجل المهزار.. قوموا نفتش عليه فنهضوا جميعًا وخرجوا إلى حديقة الدار، فوجده وقد علق قدرًا في شجرة ووضع قنديلاً على الأرض على قيد ذراع وهو واقف أمام القدر لا يتحرك، فقالوا له..

- هل يبلغ المزاح هذا المبلغ وتجعلنا نتضور جوعًا في هذه الحال.. ماذا تصنع..

فقال:

- إني أطبخ لكم الطعام بيدي أفلا يعجبكم..

فقالوا:

- لقد علقت القدر في السماء وجعلت تحته قنديلاً ضئيلاً.. فهل يغلي هذا القدر بهذا القنديل الضئيل؟

فأجابهم جحا:

- ما أسرع نسيانكم فقد قلت لكم منذ ثلاث أيام أني رأيت قنديلاً على مسافة ميل، فزعمتم أني تدفأت به وحكمتكم عليَّ، فكيف إذن يتدفأ الإنسان على قنديل من بعد ميل.. ألا يغلي القدر من قنديل إلى بعد ذراع..

هؤلاء هم الناس

كنت أسير في الطريق فأدركني الجوع.. وكان معي من الزاد ما يكفي للغذاء وزيادة فقلت لنفسي.. إن الجوع مضر ودفع المضرة واجب في كل مكان.. وعلى أية حال ولا بأس من أن أجلس للطعام؛ حيث أسير فمن قبلي جلس حكيم

اليونان (ديوجينس) يأكل على قارعة الطريق.. ولـــم يبـــال الطاغية الجبار الإسكندر المقدوني في شيء..

ونزلت من على حماري.. وتركته يأكـــل مـــن حشـــائش الأرض.. ولكن التعاسة تأبى أن تفارقني حتى في أخذ حظي من الطعام.. فقد مر بي رجل من أولئـــك الرقعـــاء الـــثقلاء المتحذلقين..

وبدلاً من أن يبادلني التحية نظر إليَّ محدقًا متعجبًا وقال..

- ما هذا يا جحا الذي أنت فيه؟

قلت:

- ما فيه سائر الناس..

قال: كلا ولكنك تخرج على أوضاع الناس..

قلت: في أي شيء ترى..؟

قال: أيليق بك في فضلك وعلمك أن تأكـــل هكـــذا علـــى قارعة الطريق.

قلت: وأي شيء في هذا يا أخي..!

وضحكت في نفسي ساخرًا ورثيت للمسكين في عقله..

ثم قلت: وأين هم الناس يا أخي..

قال: هؤلاء الذين يمرون عليك أفواجًا على الطريق..

قلت: هؤلاء ليسوا بناس.. ولكنهم بقر..

وأنكر الأحمق قولي وحاول أن يثير الجدل بيني وبينه في هذا الموضوع وخشيت أن يسمع أحدًا ما بيننا والناس في طبعهم الفضولي، فيقفون إلى جانبه وتدور الدائرة على رأسي، وقد تتجلى المعركة عن فقداني وحماري فقلت..

- مهلاً يا أخي لا تتعجل وانتظر حتى أقدم إليك الدليل..

وأسرعت فارتقيت وهذه من الأرض وناديت بأعلى صوتي أيها الناس إني واعظكم فاسمعوا..

وأقبل الناس متواكبون من كل ناحية حتى سدوا الطريق من كل جانب ثم ابتدأت حديث الوعظ فقلت..

- يا بني آدم أنتم كالأنعام.. بل أقل.. أنتم حطب جهنم يوم القيامة فما بقي أحدًا منهم إلا وقد انحدرت دمعة على خده.. أو طرق آسفًا على حاله..

ثم مضيت أفيض عليهم من دوافع هذه الحكمة الباهرة وأحدثهم حديث الأمم العابرة.. فلما أنهيت مما في جعبتي.. حتى استأنفت الكلام مرة أخيرة..

- أيها الناس لقد جاء في الكتب من أخرج لسانه، فضرب به أرنبة أنفه غفر الله له ما تقدم وما تأخر.. فما لبث كل واحد منهم إلا وقد أخرج لسانه وراح يحاول أن يضرب به أرنبة أنفه فالتفت إلى صاحبي وقلت..
- انظر أيها الأحمق الداعي.. هل هم ناس أم هؤلاء بقر؟!

تكذبني وتصدق الحمار

كأنما الأقدار تأبى إلا أن تضايقني بالثقلاء.. ما من مأمنة تؤتي الحذر كما قيل..

فقد هبط عليَّ رجل ثقيل لم يسبق لي أن عرفته قبل ذلك ولا رأيته قط، ولكنه سلم عليَّ في حرارة كأن بيننا معرفة أبدية وصداقة وطيدة.. ثم جلس بجانبي على الأرض بلا كلمة سوى السلام والتحيات المستمرة.. ثم مال على أذني وطلب مني أن أعيره حماري ليقضي على بعض مصالحه..

وحماري كما يعرف بعض الناس عزيز عليَّ، وقد ملكني الله إياه لاستخدامه في مصالحي الخاصة لا في مصالح الناس..

ماذا أستفيد من الرجل.. هذا الإنسان المجهول الذي لا أعرفه..

فأنا في الحقيقة لا أملك حق التصرف فيه إلى هذا الحد.. ثم لأجل أن يقول عني صاحب فضل ومروءة..؟ ولكنه لا شك سوف ينهال على حماري ضربًا مبرحًا؛ إذ هو أبطأ في سيره أو توقف خطوة في الطريق.

وبعد أن وازنت الرأي في تقديري اختصرت الأمر عن نفسي في أقرب طريق وعقلت للرجل:

- كنت أرجو تحقيق رغبتك على العين والرأس.. ولكن أحد الأصدقاء سبقك فاستعار الحمار لبعض مصالحه..

وصمت الرجل كأنما قد قبل العذر فلم يتكلم وكادت المسألة تنتهي على هذا الوجه.. ولكن الحمار الملعون أبى إلا أن يفضحني، فنهق داخل الدار وارتجف ممن عنف صوته الجدران، وسرعان ما رأيت الرجل يرمقني شذرًا،

وكأنه أمسك بي وأنا أسرق بيته.. أو كأنني جئت بالشـــناعة التي لا تليق فقال..

- كيف تقول إن الحمار غير موجود وأنه قد اســتعاره منك أحد الأصدقاء..؟ وحمارك هــذا ينهــق داخــل دارك..

وبدا لي أن أتلمس الخروج من المأزق في عذر مقبــول، فأزعم للرجل أن ذلك الحمار غيره.. حمار عــابر ســبيل، ولكني رأيت أن أنصف نفسي من سماجته بكلمة حق أوقــح من وجهه فقلت..

- مهلاً يا صديقي العزيز.. لقد قلت قولاً وقال الحمار قولاً، فمن العيب أن تكذبني وتصدق الحمار..

أحملك سنتين

جفا جحا أمه فقالت له..

- أهذا جزائي وقد حملتك في بطني تسعة أشهر؟

فقال لها..

- ادخلي في بطني حتى أحملك سنتين وخلصيني..

جحا.. واللص

دخل لص بيت جحا وسرق جانبًا من الأثاث، ولما خرج أخذ جحا بقية الأثاث وتبعه، فالتفت السارق وراءه فوجده فقال له:

- ماذا تريد يا رجل؟

قال جحا:

- انتقل من بيتنا إلى بيتكم.. أنت أخذت جانبًا من الأثاث وأنا حملت إليك.. الباقي، وإن شاء الله غدًا عند طلوع الشمس يجيء الأولاد وزوجتي.. إنهم فرحوا جدًا من انتقالنا من بيتنا الخربان إلى بيتكم العمران..

ذعر اللص وفزع وقال..

- خذ يا عمي أثاثك وأرحني من شرك..

وهنا نبني مرحاضًا

جاء جحا مع صديق له إلى أرض واسعة.. فقال الرجل...

- هنا نبني دارًا..

وأخذ الرجل يشير بإصبعه إلى أماكن معينة مــن الأرض ويقول له..

وهنا نبني غرفة جلوس.. وهنا غرفة نوم.. وهنا غرفــة طعام.

وفيما كذلك خرج منه ريحًا، فضحك جحا وقال..

- وهنا نبني مرحاضًا..

بلا رأس

خرج يومًا مع صديق إلى الحقل فرأى ذئبًا، فجرى خلفــه صديقه ليصطاده، فدخل الذئب جحره، فأدخل صديقه رأســه وراءه في الجحر ولما طال سكونه ذهــب إليــه جحــا فلــم يتحرك، فجره فوجده بدون رأس لأن الذئب كان قــد نهــش رأسه، فرجع جحا إلى منزل صديقه وقال لزوجته..

- لما خرج زوجك أكانت رأســه معــه أم لا؟.. لقــد وجدته الآن بلا رأس..

كيد امرأة

جاء ضيف لجحا فاشترى دجاجتين وقال لامرأته: اطبخيهما لنا، فطبختها وأكلتهما، فلما جاء ميعاد الأكل قال لها: حضري الطعام، فقالت له:

هل تأكل دون خبز..؟

فخرج جحا يشتري الخبز.. فدخلت هي عند الضيف وقالت له..

- هل تعلم السبب في أن زوجي دعاك؟

قال: لا..

قالت: لقد أصيب زوجي بالجنون ووصف له الأطباء أن يأكل أذني إنسان، فجاء بك هنا ليقطع أذنيك ويأكلهما، وعلامة ذلك أنه يضرب على صدره ويحرك يديه..

وعاد جحا.. وقال لزوجته..

- هيا حضري الطعام..

فقالت له زوجته..

- إنك بعدما حضرت قام الضيف وأخذ الدجاجتين ووضعهما في منديله..

فبدت من جحا حركة تشبه ما قالته زوجتــه للضــيف.. فخرج الضيف يعدو خوفًا من قطع أذنيه، فأشــارت زوجــة جحا إليه وقالت له...

- انظر هذا هو الضيف خرج يعدو خجلاً منك..

فأسرع جحا خلفه وهو يصيح به..

- يا أخي.. خذ واحدة واعطني واحدة..

يقصد بذلك الدجاجتين، فصاح الضيف وهو يزيــد مــن سرعته..

- إن أدركتني فخذ الاثنين..

كل الثيران أقرباء

دخل ثور حقل جحا.. وصار يأكل جانبًا منه.. ويــدهس برجليه أكثر مما يأكل، فأراد جحا أن يضربه فهرب الثــور منه، ثم رآه جحا مع كردي يباع في السوق فأخــذ هــراوة كبيرة وضرب الثور، فقال له الكردي..

- لماذا تفعل ذلك يا جحا؟

- اسكت أنت لا شأن لك.. الثور يعرف ذنبه.. فهو منذ سنة مضت جاء إلى حقلي وأفسده..

فقال له الكردي..

- ربما كان ثور آخر غير هذا..

فقال له جحا..

- ولو فكل الثيران أقرباء..

بكم الشهر؟

سئل جحا..

- كم يومًا في الشهر؟

قال:

- أنا والله طول عمري ما بعت شهرًا ولا اشـــتريته.. فمن أين أعرف بكم الشهر..؟

مات ولكنه لم يمت

وقع أحد الناس مغشيًا عليه، فغسلوه وكفنوه وحملوه إلى النعش وساروا به.. وفي الطريق أفاق الرجل فجلس في النعش وصاح..

- أنا حي لم أمت.. خلصني يا جحا..

فقال جحا..

- عجبًا... أأصدقك وأكذب كل هؤلاء المشيعين..

الماسورة المجنونة

كان قادمًا من جهة بعيدة.. وفجأة شعر بالعطش الشديد فراح يبحث هنا وهناك، إلى أن وجد ماسورة ماء مسدودة بخشبة، فنزعها فاندفع الماء بشدة أغرق وجهه وثيابه.. فنظر إلى الماسورة وقال.

- لو لم تكن مجنونة لما دقوا فيك هذا الخازوق وسدوا فمك أيتها الماسورة الملعونة..

كشف الحساب

استدعى تيمور لنك صراف بلدة جحا ليقدم له كشف الحساب، فأحضر الصراف كشف الحساب مكتوبًا على أوراق كثيفة كانت تستعمل في ذلك الوقت، فلما نظر فيها تيمور لنك غضب واتهم الصراف بالاختلاس ومزق الأوراق، وأمر الصراف بابتلاعها، ثم أمر جحا أن يتولى هو عمل الصراف، لما اتصف به من الأمانة والاستقامة ولم يقبل امتناعه عن القيام بهذا العمل، وفي آخر الشهر طلب تيمور لنك كشف الحساب من جحا، فجاء بها مكتوبة على رقاق من الخبز، فلما رآه تيمور لنك تبسم في سخرية وقال..

- ما هذا أيها الشيخ..؟

فقال جحا..

- إنني رجل طاعن في السن ولا شك أنك ستأمرني بابتلاع كشوف الحساب كما فعلت مع سلفي.. ولا تستطيع معدتي هضم الأوراق السميكة فكتبت الحساب على هذه الرقائق..

جنازة جحا

ذات يوم كان جحا يسير في الشارع فقابلوه جماعة من الشباب، وسألوه..

- إلى أين أنت ذاهب يا جحا؟
- إني ذاهب إلى القرية..

قالوا له في رثاء..

- يا مسكين إنك لا تستطيع الذهاب لأنك مت، ويجب أن نقوم بتجهيزك.

فمشى معهم إلى المسجد في اضطراب وقال لهم..

- أخشى أن تكونوا قد أردتم المزاح بكلامكم هذا.

فأصروا على ادعائهم، وصمت هو، فجردوه من ملابسه وهموا في هذا الوقت أن مر صديق لجحا فاستوقفوه وقالوا له..

- يجب أن تحضر جنازة صديقك جحا أولاً..

وحاول أن يجادلهم متحججًا أنه ذاهب إلى مكان لأمر هام، ولكنهم ألحوا عليه إلحاحًا شديدًا أن يظل معهم، فرفع جحا رأسه وهو على المغتسل وقال للرجل..

- لا فائدة يا صديقي في الجدال.. فأنا أيضًا كان لــي شغل هام.. ولكن دنا أجلي فكان لا مفــر لــي مــن الذهاب إلى القبر..

تنقلب الدنيا

أراد جحا أن يتزوج فبنى بيتًا يتسع له ولزوجته، وطلــب من النجار أن يجعل خشب سقف البيت على الأرض، ويجعل بلاط الأرض على خشب السقف، فراجعه النجار في دهشــة ولم يفهم ما يقصده جحا..

فقال جحا..

- أما علمت يا صديقي أن المــرأة إذا دخلــت مكانًــا جعلت عاليه سافله..؟ أقلب هذا المكان الآن يعتــدل بعد الزواج..

هواء بلدكم

صعد يومًا على المنبر يعظ في الناس قائلاً..

- أيها الناس اعلموا أن هواء بلدكم مثل هواء بلدنا..

فقالوا له..

- ومن أين عرفت ذلك يا جحا؟

فقال..

- إن النجوم التي كنت أراها في بلدنا.. أرى مثلها في بلدكم.. فعرفت أن هواء بلدكم مثل هواء بلدنا..

جررر

اشترى جحا رأس خروف مذبوحة، وسار بها إلى منزله بجوار البحر، فسقطت منه في الماء.. فجرفها الموج إلى وسط البحر، فقبض جحا قبضة برسيم وقربها ناحية الرأس وهو يقول لها "جررررر...".

مكارة

وقف جحا أمام باب شقته وأخذ يدق على الباب، ففتحت له زوجته وكان يحمل أعوادًا من القصب فقال لها..

- خمني ماذا أحمل في يدي..؟

فقالت له الزوجة..

فدهش جحا وقال..

- آه.. ومن أخبرك بذلك يا مكارة؟!

القط يأكل الفأس

كلما أحضر جحا أكلاً تطبخه زوجه تطعم به صديقاتها ولا تبقي له شيئًا فاغتاظ منها.. وفي يوم سألها..

- أين يذهب الأكل الذي أحضره كل يوم..؟!

فقالت الزوجة: كلما طبخت طعامًا أكله القط..

وكان عند جحا فأس كبيرة، فقام وخبأها في صندوق وأقفل عليها فقالت له زوجته، لم تخبئ الفأس؟

فقال جحا: أخبئها من القط..

فقالت زوجته: وماذا يفعل القط بالفأس؟

فقال جحا: عجبًا إن القط الذي يأكل طعامنا كل يوم ولا يشبع لا يبعد أن يأكل الفأس إذا جاع.

أشكرك

اشتهر جحا بالعلم والأدب فقدم له شخص جنيهان ليقول له كلمة واحدة من أدبه وعلمه. فأخذ جحا النقود ووضعها في جيبه وقال له..

- أشكرك..

حلوى بنار

دخل جحا دكانًا لبيع الحلوى فجعل يأكل منها ويضع في جيوبه فرآه صاحب الدكان فنهره، ولكن جحا لم يرجع عن عمله، فأخذ صاحب الدكان يضربه بالعصا وجحا يضحك وهو يأكل الحلوى ويقول:

- أتكون حلوى بلا نار.. هذا غير معقول..؟

الطب

سأل الناس جحا عن الطب فقال:

- خلاصة الحكمة في أن تدفئ قدميك وتعرض رأسك للهواء والشمس، وتعني بطعامك، ولا تكثر منه، ولا تفكر في همومك وأحزانك..

إذا كنت رجلاً

تزوج جحا امرأة سمينة جدًا، وكان يخاف منها لأنها كانت تؤذيه، وفي مرة جرت خلفه بالعصا فهرب منها تحت

السرير، فلم تستطع أن تدخل خلفه لأنها سمينة جدًا، فلما تأكد جحا من أنها لا تصل إليه، قال لها وهو تحت السرير..

- إذا كنت رجلاً فادخلي هنا...

تمثال من النحاس

دخل جحا بيته، فوجد زوجته ومعها صديق لها، فوقف صديقها ساكنًا كالتمثال.. فقال لها جحا..

- من هذا..؟

قالت الزوجة..

- هذا تمثال.. انظر إليه.. إنه لا يتحرك.. أتظنه إنسان؟

قال جحا..

- ما أبدع هذا التمثال.. تبارك الخلاق فيما خلق.. ومن أي شيء صنع يا ترى..؟

قالت الزوجة..

- إنه مصنوع من النحاس المجوف..

فصفعه جحا على خده صفعة قوية أطارت الشـــرر مـــن عينيه فلم يتحرك، إذًا أراد أن يثبت لجحا أنه حقًا تمثال مـــن النحاس المجوف فقال...

رن ن ن ن ن ن ن ن ن ن.

وراح جحا يضربه من جديد بقوة وهو يقول..

- حقيقي إنه تمثال من النحاس المجوف.. اسمعي إلـــى رنينه.. وانهال عليه ضربًا بعصا غليظة..

مع العميان

كان جماعة من العميان جالسين يتحدثون، فمر بهم جحـــا فأراد أن يضحك منهم فأخرج من جيبه كيسًا به نقود وحركه في الهواء ليسمعوا صوتها، ثم قال لهم..

- خذوا هذه النقود ووزعوها عليكم..

وجلس جحا بعيدًا عنهم..

فظن كل واحد منهم أن جحا رمى الكـــيس إلـــى زميلـــه فصاحوا وتشاجروا، وأمسك كل منهم بملابس زميلـــه وهـــو يقول..

- هات نصيبي من النقود..

وجحا جالس بعيدًا عنهم يكاد يغمى عليه من الضحك..

النقود للضفادع

كان جحا راكبًا حماره، فمر في طريقه بنهر، وكان الحمار قد عطش عطشاً شديدًا، فجرى نحو الشط ليشرب من النهر، فزلقت قدمه وكاد جحا أن يقع في النهر.

وفي ذلك الوقت نقت الضفادع، فخاف الحمار منها ورجع إلى الوراء، وكانت الضفادع سببًا في نجاة جحا، فسر سرورًا عظيمًا، وأراد أن يكافئ الضفادع، فأخرج من جيبه بعض النقود ورماها في النهر وهو يخاطب الضفادع قائلاً..

- أشكركن على نجاتي وخذن هذه النقود مكافأة لكن على معروفكن..

البغل في الإبريق

قال الشيطان لجحا:

- إني سوف أجننك يا جحا..

قال جحا..

- إنك لا تستطيع..

وبعد أيام وجد جحا بغلاً كبيرًا يـدخل إبريقًـا صـغيرًا بجانبه. فخرج من منزله وهو يصيح كالمجنون..

- البغل في الإبريق.. البغل في الإبريق.. تعـالوا يـا جيراني، انظروا البغل في الإبريق..

فأتى جيرانه على صياحه وقالوا له..

- كيف يعقل أن يدخل البغل في الإبريق..؟

فقال لهم جحا..

- إني قد رأيته بعيني تعالوا وانظروا..

وقادهم إلى حيث يوجد الإبريق فلم يجدوا به البغل فدهش جحا ودهش الجيران، فلما خرجوا، رأى جحا البغـل يـدخل الإبريق ثانية، يصيح كالمجنون..

- البغل في الإبريق.. البغل في الإبريق.. تعـالوا يـا جيراني وانظروا.. البغل في الإبريق.. البغـل فـي الإبريق..

فجاء الجيران فقادهم جحا إلى حيث يوجد الإبريق فلم يجدوا به البغل فاتهموه بالجنون، وحملوه على أكتافهم وذهبوا به إلى مستشفى المجانين وهو يصيح..

- البغل في الإبريق.. البغل في الإبريق..

وظل في مستشفى المجانين فترة ثم خرج، ولما عاد إلى منزله وجد البغل يدخل الإبريق، فضحك جحا وقال..

- لعنك الله أيها الشيطان، إني أراك بعيني تدخل الإبريق وأنا عاقل ولست مجنوناً.. ولكن من يستطيع أن يقول.. البغل في الإبريق..

يعرف ماذا يصنع

نزل جحا ضيفاً عند جماعة من أهل المدينة، فسرق اللصوص خرج حماره، فلما بحث عنه لم يجده فصاح فيهم..

- ابحثوا عن خرجي وإلا عرفت ماذا أصنع؟

فبحث أهل المدينة عن خرجه.. وأخيرًا وجدوه عند جماعة من اللصوص، فأحضروا إليه، ثم سأله أحدهم..

- إذا لم نجد خرجك.. فماذا كنت تصنع..؟

فقال جحا..

- عندي بساط قديم كنت سوف أعمل منه خرجًا..

جحا الحزين

ذهب جحا يومًا إلى البحر ومعه أبريـــق مـــن النحـــاس ليملأه.. فسقط منه الإبريق في البحر، فجلس جحا على الشط حزينًا.. ومكث على ذلك مدة طويلة، فرآه صياد فقال له..

- لماذا تجلس هكذا حزينًا يا جحا..؟!

فقال جحا..

- لقد وقع الإبريق مني في البحر..

فقال الصياد..

- وما السبب في جلوسك في هذا البرد الشـــديد مـــدة طويلة ألا تخاف أن تصاب بالبرد..

قال جحا: ــ

- إني أنتظر أن يمتلئ الإبريق بالماء فيطفوا على وجه الماء فآخذه وأنصرف..

ماذا فقدت؟

قيل له..

- إن زوجتك يا جحا قد فقدت عقلها..

فأطرق برأسه يفكر، ثم قام إلى بيته يدور حول نفسه كأنه يبحث عن شيء..

فقالوا له..

- ماذا تفعل يا جحا..؟
- إنكم تقولون إنها قد فقدت شيئًا.. ولن يكون ذلك الشيء عقلها.. فإنني لا أعرف أن لها عقلاً قد فقدته..

قيل له..

- إن زوجتك يا جحا تتردد على البيوت وتطيل المكوث فيها ففكر جحا لحظة ثم قال:
- إن هذا غير صحيح لأنها لو فعلت ذلك حقًا لوصلت أخيرًا إلى بيتنا..

إنك أعقل من سيدك

كان جحا في أيام صباه مارًا أمام دار أحد البخلاء فــرأى سربًا من الأوز واقفًا بجوار الجدار فأمسك بكبراها وخبأهــا تحت جبته وسار بها خائفًا من صاحبها البخيل، وبعد أن سار مسافة طويلة عجب من صمت الأوزة، فأراد أن يعرف ســر سكوتها فدخل زقاقًا خاليًا من المارة ورفع جبته قليلاً ونظــر إلى وجه الأوزة، فرفعت رأسها وصاحت حسب عادتها، فقال لها مرحى.. مرحى، يقولون إن الأوز جاهل والحقيقة إنــك أعقل من سيدك وقد رفعت جبتي لأوصيك بالسكوت.

مسمار جحا

باع جحا منزله واستثنى منه مسمارًا في الحائط أخرجــه من البيع، واشترط ألا يمنع من زيارة مسماره في أي ساعة من الساعات، لأنه عزيز عنده، فقبل المشتري هذا الشرط..

وفي الصباح ساعة الإفطار دخل جحا ليــزور مســماره، فدعاه الرجل إلى الإفطار، وفي الظهر ساعة الغداء أقبل جحا ليتأمل مسماره فدعاه الرجل للغداء، وفي الليل ساعة العشاء حضر جحا ليتفقد المسمار فدعاه الرجل إلى العشاء، وحتــى في لحظات الراحة ووقت النوم كان جحا يقبــل فجــأة إلــى

المنزل ليرى ما حدث للمسمار.. وتوالت تلك الزيارات وفي كل مرة كان صاحب المنزل يدعو جحا إلى تناول الطعام، إلى أن ضاق الرجل وأصبح لا يقبل هذا الوضع.. ولكن الشرط يلزمه بأن لا يمنعه من زيارته، فلما لم يجد حيلة تخلصه من جحا، تنازل له عن المنزل جميعه، وتركه لجحا بمسماره..

الأغلاط الكبيرة

نزل على إقليمنا رجل من الغالبين الفاتحين، ولكن أول ما أخذ فيه أن أمر بجمع السلاح من الأهالي. وقد فعل ولست أدري لماذا صنع هذا الصنيع بالناس.. ويبدو لي أنه أراد أن يقلم أظافرهم وأن ينتزع مظهر القوة فيهم حتى لا يجد منهم مقاومة إذا عسف بهم أو اغتصب أموالهم، وعلى أية حال فالأمر لا يعنيني لأنني لست من حملة السلاح ولا يفزعني شيء مثل استعمال السلاح، ثم إني لست من أصحاب المال حتى أخاف على مالي من سطوة هذا الجبار أو من عبث اللصوص، وما دام الأمر لا يعنيني، فإنني لم أجعل له اعتبار عندي..

وفي يوم كنت أعبث في داري فعثرت بين مخلفات قديمة على خنجر أعطبني نصله الدقيق ومقبضه الرشيق، فتناولته وهززته في يدي كما يهز الفارس سيفه عند اقتحام الميدان ثم قلت:

لا بأس والله من أن أعلق هذا الخنجر في وسطي حتى أبدو في مظهر القوة والسطوة، فتكف زوجتي عن شجاري ونقاري، وما زالت المرأة لشد ما تكون إذعانًا للسطوة، وما هؤلاء الناس جميعًا إلا عبيد القوة، وإذ دهاني العجب بنفسي، فخرجت في الطريق مزهوًا بخنجري كأني فارس الهيجاء وليس على بالي أي شيء..

ولكن ما كدت أمضي في الطريق خطوات حتى ابتدرني رجل فظ غليظ من أتباع الحاكم، أمسك بتلابيبي وأخذ يدفعني من ظهري دفعًا عنيفًا، وهو يقول كيف تخالف أمر الحاكم أيها الشيخ العجوز الشرس، لا بد أن تنال جزاءك على هذه المخالفة..

ولم أجد في الناس حتى من أهلي وعشيرتي من يغضب لإهانتي أو ينقذني من ورطة، ولم أعجب لذلك فإن الناس لا يفزعهم شيء مثل الخوف والرعب، ومتى كانت هناك قوة

وسطوة فإنما تكون كلمات المروءة والشهامة والنجاة حديث خرافة..

ومثلت بين يدي الحاكم وأنا في فزع لا يوصف ولا يعرف، وإذا به ينتهرني في غلظة قائلاً:

أهذا أنت أيها الشيخ الأحمق تخالف أمري وتخرج عن طاعتي؟

قلت: كيف أخرج على طاعة مولانا العظيم وأنا شيخ لا مأرب لي ولا غاية عندي إلا طاعة الغالبين الفاتحين..

قال: وما صناعتك؟

قلت: شيخ فقيه أنفق وقتي كله في تأليف الكتب المفيدة وكتابة المسائل العجيبة؟

قال: وما هذا السلاح الذي معك؟

قلت: أبقاكم الله سيدًا للعارفين فإني أصلح به أغلاطي في الكتابة..

قال: إن الأغلاط في الكتابة إنما تصلح بشيء خفيف رقيق..

قلت: يا صاحب العقل الرشيد والرأي السديد إن أغلاطي في الكتابة كبيرة.. والأغلاط الكبيرة لا يصلحها إلا السلاح الكبير..

السير في الجنازة

سألني رجل من المتحذلقين:

- إذا أردت السير مع الجنازة فهل أمشي وراءها أم خلفها؟

قلت:

- لا تكن في النعش وأمشي حيث شئت..

موضع النظر

كنت أسير على شاطئ البحيرة فسألني شيخ متعبد:

- إذا أراد الإنسان الاستحمام فإلى أي جهة يوجه نظره يا فقيه؟

وهل يستقبل القبلة أم يستديرها...

قلت:

عليه أن يوجه نظره تمامًا إلى ثيابه، حيث خلعها وإلا سرقها اللصوص..

بئر مقلوبة

كان جحا يسير مع صديق له، فرأى منارة مرتفعة، ولم يكن صديقه قد رأى منارة من قبل فقال:

- ما هذا؟

فأجابه جحا:

- هذه بئر مقلوبة..!!

الكنز الذي لا يفنى

سألوني في مجلس حاكم بلدتنا..

- هل حقًا يا جحا أن القناعة كنز لا يفنى؟

قلت:

- أجل.. ولكنه كنز لا يطعم جائعًا ولا يكسي عاريًا وهو لا يوجد إلا عند الذين لا يجدون..

الجروح قصاص

حضر إليَّ رجل يبدو عليه الجبن والندالة.. وقال لي..

- لقد رأيت رجلاً يقبل زوجتي فماذا أفعل به؟

قلت:

- لا تصنع به شيئًا.. واطلب من زوجتك أن تقبله كما قبلها، فإن المثل يقول والجروح قصاص..

لا وارث لي

مرض جحا مرضًا خطيرًا خاف منه، ولما سئل عمن يرثه قال:

- لا وارث لي.

قيل له..

- وأمك..

- طلقها أبي منذ زمن بعيد..

شيء يضايق

دخل جحا على زوجته فوجدها حزينة تبكي فسألها عن حالها فقالت له..

- إنك لا تحبني..

فدهش جحا وقال..

- أنا لا أحبك؟ وماذا رأيت مني حتى تقولي ذلك؟

فقالت:

- إني غسلت اليوم فنامت الشمس من حظي الأسود.
- وما شأن ذلك بحبي لك..؟

قالت..

- ألا تعرف أن المثل يقول.. "من يحبها زوجها تشرق الشمس لها"..

فدعى جحا ربه أن تشرق الشمس لتصدق زوجته أنه يحبها، وما فرغ من دعائه حتى نزل المطر.. وبرق البرق، فقال..

هل هذا عمل يرضيك يا ربي.. أتريد أن تمسك بي وتضربني، أنا أقول أحبها ولا أقول أكرهها..

لا يعرف اسم زوجته

ذهب جحا إلى المحكمة وأخبر القاضي أنه يريد تطليق زوجته، لأنها ليست على وفاق معه، وليس بينهما أي انسجام..

فقال القاضي:

- وما اسم زوجتك؟

فقال له جحا..

- لا أعلم..

فعجب القاضي وقال:

- كيف لا تعرف اسم زوجتك.. منذ كم سنة تزوجت؟

قال جحا..

- منذ خمس سنوات ولكني لم أحادثها خلال هذه السنوات، ولم تكن بيني وبينها صداقة لأسألها عن اسمها..

فكرة

نام رجل في الحقل وتغطى بجبته، فجاء لص وســرقها، فأحس به الرجل فأمسك به وساقه إلى جحا القاضي، ووقفــا أمامه وقد ادعى كل منهما أن الجبة له، ولم يســتطع أحــدًا منهما أن يأتي بشاهد يشهد أن الجبة له..

فجلس جحا يفكر في هذه القضية المحيرة، ثــم خطــرت بباله فكرة رائعة، فأمرهما أن يمسك كل منهما بطرف الجبة وتركهما على هذه الحال مدة طويلة، وتشاغل عنهما بــالنظر في الأوراق.

وفجأة صاح فيهما..

- اترك الجبة لصاحبها أيها اللص..

فتركها أحدهما فعرف جحا أنه اللص، فحكم عليه بالحبس وأعطى الجبة لصاحبها..

متى ينجب ابن الثمانين

سألني شيخ أكل الدهر أسنانه..

- إذا تزوج شيخ في الثمانين من بكر ناهد هل ينجب منها أولادًا؟

قلت:

- أجل يا سيدي إذا كان جاره في العشرين..

العين والضرس

شكا إلي أحد الناس من وجع عينه.. وسألني أن أصف له دواء شافيًا كأنه حسبني أبقراط الطبيب أو جالينوس الحكيم..

فقلت له:

لقد وجعني ضرسي بالأمس فلم أجد له علاجًا إلى خلعه.. وإني أحسب أن العين كالضرس..

مكان الحق

سألني التلاميذ في الدرس..

- أين مكان الحق يا سيدنا الشيخ؟

قلت:

- في الزمن القديم كان الحق في كل مكان.. أما في هذا الزمن فليس له مكان ولا يوجد في أي مكان..

كما تقول القدر

جاء شهر رمضان فقال جحا في نفسه..

"إننا نختلف دائمًا على عدد الأيام التي نصومها.. وإني سأرمي في القدر حصاة لكل يوم أصومه"..

فلم تمض بضعة أيام حتى لاحظت ابنته الصغيرة ما يفعله والدها فظنت أنه يجمعه.. فكانت كلما وجدت حصاة رمتها في القدر وهو لا يعلم ذلك..

وفي آخر رمضان اختلف أهل بلدته كعادتهم على عدد الأيام التي صاموها، فقال جحا:

- أنا أعلم بها منكم.. وعندي في البيت ما أعرف به عدد الأيام التي صمناها بالضبط..

وذهب إلى منزله وعد الحصى فوجده مائة وعشرين فدهش وقال في نفسه.

- لو أني قلت لهم أننا صمناها مائة وعشـــرين يومًـــا، لكذبوني فخير الأمور الوسط.. وسأخبرهم بنصـــف هذا العدد فذهب إلى أهل بلدته، وقال لهم..

- إننا صمنا ستين يومًا..

فاستهزءوا منه وقالوا..

- الشهر كله ثلاثون يومًا فكيف تقول إننا صمنا ستين؟

فقال جحا:

- إن الذي قلته لكم هو نصف العدد وإلا فمـــاذا كنـــتم تقولون لو أخبرتكم بحساب القدر..؟!

الفارس المغوار

تمنطق جحا بسيفه وحمل هراوته وركب حماره وسار في نزهة فقابله رجل في الطريق وبيده عصا، فســـلبه حمـــاره وثيابه، ولما رجع إلى البلد قيل له..

- ما هذا يا جحا؟

فقص عليهم ما وقع له، فقالوا كيف يسلب رجل بيده عصا فارسًا معه سيف وهراوة؟

فأجاب..

- إن إحدى يداي كانت مشغولة بالسيف.. والثانية بالهراوة والترس، فهل كنت أضربه بأسناني وهو يسلبني؟

الموت أحسن

غضب جحا من زوجته فترك لها البيت.. وبعد أيام قال له أصحابه..

- إن زوجتك قد ماتت..
- نعم..
- وهل أنت مسرور من موت زوجتك؟

فقال:

- لو لم تمت لكنت عازمًا على طلاقها..

للبيت بابين

دعا جحا جماعة من أصحابه ليتعشوا عنده، فلما حضروا أجلسهم في الدور الأول من البيت.. ثم ذهب إلى زوجته وقال لها:

- ماذا أعددت من أصناف الأكل لضيوفي؟

فضربت زوجته على صدرها بيدها وقالت:

- أكل.. وهل أحضرت لنا اليوم أكلاً حتى تأكل أنت وضيوفك؟

وفوجئ جحا من جواب زوجته وفكر لحظة ثم صعد إلى الدور الثاني وأطل من النافذة وقال لأصحابه..

- اذهبوا أيها الضيوف فإن لبيت جحا بابين.. دخل من أحدهما، وخرج من الآخر.. لقد ضحك عليكم..

لله

وقف شحاذ بباب جحا وجعل يقول:

رغيف لله.. حسنة لله.. جلباب مقطع لله.. حذاء لله.. قرش لله..

فأطل جحا من النافذة وقال للشحاذ..

- اذهب يا ملعون.. أطلب الله منك أن تطلب هذه الأشياء؟!

الأصابع الخمسة

كنت أتناول طعامي في نهم وشهوة، فسألني أحدهم..

- ما هذا يا جحا.. كيف تأكل بأصابعك الخمس..؟
- لأنه ليس لي ستة أصابع..

الطبيب المعالج

شكت إليَّ امرأة من طيش ابنتها وقالت إنها جاوزت الخمسة عشر ولكنها لا تركن إلى التعقل والهدوء، وسألتني أن أصف لها علاجًا شافيًا، فقلت..

- إنني شيخ قد كبرت يا سيدتي، وأحسب إنك إذا سألتي في أمرها طبيبًا في الخامسة والعشرين، فإن رأيه سيكون أنجح في علاجها السريع..

حمال مجانًا

نزل جحا من على حماره، ووضع حقيبته بالقرب منه وانتظر حضور الشيال كي يحملها له.. ولكن جاء لصًا من خلفه وحملها ومشى بها.. فتبعه جحا دون أن يكلمه..

فلما اقترب جحا من منزله أخذ الحقيبة من اللص وقال له..

- أشكرك يا سيدي.. فقد حملت حقيبتي إلى منزلي من غير أجر، ولم يستطع اللص أن يدعي أنها حقيبته..

جحا أم حماره

مات بائع الفجل.. واشترى جحا حماره، وكان الحمار يعرف البيوت التي يشتري سكانها الفجل، فيقف عندها، وكلما نادى جحا على بضاعته نهق الحمار، وشوش بنهيقه على صوت جحا، فغضب وقال له:

- يا مغفل.. أأنت الذي تبيع الفجل.. أم أنا..؟

لا تتوبوا

هبت يومًا ريح شديدة، فأقبل الناس يدعون ربهم بالتوبة فصاح فيهم جحا:

- يا قوم.. لا تتعجلوا بالتوبة.. إنما هي زوبعة فقط..

برج التيس

سألوا جحا يومًا:

- ما هو طالعك؟

فقال..

- برج التيس..

قالوا:

- ليس في علم النجوم برج اسمه التيس..

فقال:

- لما كنت طفلاً فتحت لي والدتي طالعي فقالوا لها إنه برج الجدي.. والآن قد مضى على ذلك أربعون عامًا فلا شك أن الجدي من ذلك الوقت قد صار الآن تيسًا!!

ارجع إلى أمك

ذهب جحا إلى السوق، واشترى حمارًا وربطه بحبل ومشى، فتبعه لصان حل أحدهما الحبل ووضعه حول عنقه وهرب الثاني بالحمار، وحانت التفاتة من جحا فرأى إنسان مربوطًا بالحبل.. فصرخ به..

- أين الحمار..؟

فقال: أنا هو..

قال جحا: وكيف..؟

قال الرجل: لقد كنت عاقًا لوالدتي فدعت الله أن يمسخني حمارًا فاستجاب لها.. ثم أخذتني إلى السوق وباعتني للرجل الذي اشتريتني منه.. والآن الحمد لله لأن أمي رضيت عني فعدت أدميًا..

فقال جحا:

لا بأس عليك.. ارجع إلى أمك وإياك أن تغضبها مرة أخرى..

وانصرف الرجل..

وفي اليوم التالي ذهب إلى السوق ليشتري حمارًا فوجد حماره بين الحمير، فتقدم إليه وجعل يهمس في أذنه قائلاً..

- لقد عدت إلى عقوق أمك.. ألم أقل لك لا تغضبها: إنك تستحق ما حل بك..

خذ وليس هات

كان جحا في نزهة مع أصحاب له، وبعد الطعام انصرفوا إلى بركة كبيرة يغسلون فيها أيديهم، فتصادف أن زلفت رجل

قاضي البلدة فوقع في البركة.. فتسابق الرفاق لانتشاله قائلين..

- هات يدك.. هات يدك..

فلم يمد القاضي يده فصاح بهم جحا..

- لا تقولوا له هات لأنه لم يتعود سماعها..

ثم تقدم منه وقال..

- خذ يدي أيها القاضي..

فمد القاضي يده وأمسك بيد جحا ونجا..

من أنا

سافر جحا سفرًا طويلاً فعلق على صدره قطعة قطيفة وهو يقول أعلقها حتى لا أتوه وأضيع..

وتعب جحا من كثرة السير فجلس تحت ظل شجرة ثم نام.. فجاء رجل وأخذ القطيفة منه وعلقها على نفسه، فلما استيقظ جحا ورأى الرجل قال له..

- أنت أنا.. فمن أنا؟!

في قبر قديم

أوصى جحا أصحابه أنه إذا مات أن يدفنوه في قبر قـــديم متهدم، فقال له أصحابه..

- ولماذا يا جحا؟

فقال لهم:

- إذا جاء الملكان وأرادا سؤالي.. أقول لهما أني ميت من زمن بعيد، وقد سئلت قبل الآن، وهــذا قبـــري شاهد على ذلك فيتركاني وأرتاح أنا من سؤالهما..

بيض الديك

أراد جماعة أن يضحكوا من جحا، فقالوا له..

- تعالى يا جحا نذهب إلى الحمام..

فوافقهم جحا وذهب معهم إلى الحمام.. وأخذوا يستحمون ويمرحون.. ثم قالوا..

- كل واحد منا يبيض ومن لم يبض فعليـــه أن يـــدفع أجرة الحمام لنا جميعًا..

وجلس كل منهم وراح يقلد صوت الدجاجة وهي تبيض ثم يخرج من تحته بيضة..

وجاء الدور على جحا وقد عرف حيلتهم.. فوقف فوق مرتفع من الأرض وأخذ يصيح كالديك فقال له أصحابه..

- ما هذا يا جحا..؟!

فقال جحا.. أنتم الدجاج.. وأنا الديك.. أيجد دجاج من غير ديك..؟!

نقطة حبر

رأت زوجة جحا نقطة حبر سوداء على يده فسألته عنها، فقال لها..

- أتذكر أن تلميذي الحبشي جاءني أمس يتصبب عرقًا وقبل يدي.

إن تهت فأخبرني

أرسل جحا خادمه إلى بلدة بعيدة ليشتري له بعض الأغراض.. ولم يكن الخادم يعرف الطريق فخاف أن يذهب ليضل، فقال له جحا:

- لا تخف وإن تهت فتعالى وأخبرني وأنا أدلك على الطريق..

المرحوم بدجاجة

كانت عند جحا دجاجة سمينة لها مزايا صغيرة، فماتت الدجاجة فربط كل فرخ بقطعة صغيرة من القماش بلون أسود، فرآه صديق له فقال له ما هذا يا جحا..؟

فقال:

إن أمها ماتت وهي حزينة عليها..

حياة لا تساوي شيئًا

قال أحد الجيران لجحا..

- تصدق يا جحا أني أعمل ليل نهار وطوال وقتي لكي أنفق كل ما أشتغل به على ما يحفظ على حياتي..

فهز جحا رأسه وقال له..

- لو كنت مكانك يا صديقي لما تكبدت هذا الجهد من أجل حياة لا تساوي شيئًا..

المماطلة

كان جحا يبيع زيتونًا فجاءته امرأة تشتري منه بالأجل فقال لها..

- ذوقيه لتعرفيه..

فقالت المرأة..

- إني صائمة رمضان الماضي..

فقال لها..

- يا ظالمة.. أنت تماطلين ربك وتريدين مني الشراء بالأجل.

حتى لا تختلط

قيل لجحا: أتحسن الحساب بإصبعك.

قال: نعم.

قال: خذ وزنين من حنطة.

فعقد الخنصر والبنصر.

فقال له خذ وزنين شعيرًا.

فعقد السبابة والإبهام وأقام الوسطى.

قال الرجل: لم أقمت الوسطى.

قال جحا: لئلا تختلط الحنطة بالشعير.

رجلة غير متوضأة

توضأ جحا في يوم، وكان الماء قليلاً فلم يكفي لوضـــوء رجله اليسرى وبقيت بدون غسيل..

فلما وقف جحا للصلاة رفعها ووقف على رجله اليمنـــى فقال له أصحابه..

- ما هذا يا جحا؟

قال جحا

- لا غرابة في ذلك فإن رجلي اليسرى غير متوضأة..

كفن الميت معي

ماتت جارية سوداء لوالد جحا فأعطاه نقــودًا وأمــره أن يذهب إلى السوق لشراء كفن لها..

فتلهى جحا بمناظر السوق وأبطأ على أبيه، فأرسل غيره يشتري الكفن، وحمل الناس النعش وساروا به إلى القبر..

وفي آخر النهار ذهب جحا إلى بيته ومعه الكفن، فوجـد الجنازة قد شيعت إلى القبر، فذهب إلى المقابر وراح ينادي..

- أيها الناس.. هل رأيتم ميتًا أسود وكفنه معي؟

النقطة فوق السين

كان أحد الخطاطين ينقش الأختام ويأخذ أجرًا عن الحروف فذهب جحا إليه وقال..

- أريد أن تنقش ختمًا باسم ابني..

قال الخطاط:

وما اسمه؟

قال اسمه (خس) فحفر الخطاط الحاء والسين، وأراد أن يضع النقطة فوق الحاء، فقال له:

- لو تكرمت ضع النقطة في آخر السين.

جحا الذكي

كان أحد الناس يدعي أنه ذكي مجرب للأمور ولا يقدر أن يغشه أحد أو يخدعه، وعلم جحا بأمره، فذهب إليه وقال له:

- إنك تدعي أنك ذكي مجرب للأمور ولا يمكن أن يغشك أحد أو يخدعك..

قال الرجل:

- هذا حق.

قال جحا:

- ولكني حضرت إليك لأتحداك وأريك أني أستطيع أن أخدعك وأظهر للناس غبائك وضعف عقلك..

- إنك لا تستطيع ذلك وإذا استطعت فافعل..

- أتراهني على ذلك.

- أراهنك..

قال جحا:

إن ذلك لا يكون إلا إذا كنا في الخلاء.. فتعال بنا إلى هناك وأنا أريك كيف يكون الخداع..

فوافقه الرجل وذهب معه إلى الخلاء، وكان الهواء شديدًا والمطر ينزل بكثرة، فلما بعدا عن البلدة رأى جحا من بعد رجلاً يركب حمارًا فالتفت لصاحبه وقال..

- إني لا أستطيع أن أخدعك إلا أمام جمع من الناس ليحكموا بيننا، فانتظر هنا حتى أحضر الناس حالاً،

وسأركب الحمار خلف هذا الرجل لأحضر الناس بسرعة..

فوافقه الرجل وذهب جحا إلى بيته، وترك الرجل واقفًا في الهواء العاصف، والبرد الشديد والمطر المنهمر مدة طويلة..

وطالت غيبة جحا وقد رجع إلى البلدة، وذهب إلى بيت جحا ولامه على أن تركه واقفًا في البرد والمطر والهواء..

قال له جحا..

- وهذا هو الخداع يا سيدي الذكي المجرب للأمور.. والآن اذهب إلى حال سبيلك واحذر أن تدعي أنه لا يستطيع أحدًا أن يخدعك.

ما يدهشه

سافر جحا مع جماعة إلى بلد ما، فلما جاء الليل حطوا رحالهم وأناخوا جمالهم وقال أحدهم..

- ليحرس كل منكم متاعه لئلا تسرقه اللصوص..

وكان مع جحا صرة بها نقود فخاف عليها فغرز في الأرض رمحًا ووضعها فوق الرمح، فسرقها اللصوص ووضعوا مكانها روث بهيمة.

ولما أصبح الصياح ذهب جحا ليأخذ الصرة، فلم يجدها فدهش وقال:

- لا تهمني صرة النقود ولكني أعجب من البهيمة التي صعدت فوق الرمح ورثت عليه..

إنه خصمي

تخاصم جحا مع شيخ البلدة، فلما توفي الشيخ قيل لجحا..

- تعالى اقرأ التلتين..

قال: إنه خصمي ولا يسمع حكمي فابحثوا له عن شخص آخر..

الكنز

كان جحا يدق وتدًا في حائط، وكان وراء الحائط ذريبة دواب لجاره ففتح الحائط فرأى خيلاً وبغالاً، ففرح وجرى إلى زوجته وقال لها.

- انظري.. لقد وجدت كنزًا مملوءًا بالبهائم..

أبا الغصن

بينما كان جحا راكبًا بغلته وقد ضلت به الطريق قابله صديق فسأله..

- إلى أين يا أبا الغصن..

قال:

- كما تريد البغلة..

خالي من العيوب

قال جحا لابنه...

- اذهب واشتري لنا رأسًا مشويًا..

فذهب الابن واشترى الرأس ولكنه جلس تحت ظل شجرة وأكل عينيه وأسنانه ودماغه، وحمل ما تبقى إلى والده فقال له مستغربًا..

- ما هذا يا بني..؟

أجابه هذا الرأس الذي طلبته..

قال: فأين عيناه؟

قال: كان أعمى..

قال: أين أذناه؟

قال: كان أصم..

قال: أين لسانه؟

قال: كان أخرس..

قال: أين فمه؟

قال: كان معلم أولاد..

قال: إذن رده إلى صاحبه..

قال: لقد ابتعته بالبراءة من كل عيب..

القدر تموت

استلف جحا من جاره قدرًا كبيرًا فطبخ فيها ثم وضع فيها قدرًا صغيرة وردها له، فرأى الجار القدر الصغير فعجب وقال لجحا..

- ما هذا يا جحا..؟!
- هذا قدر صغيرة ولدتها قدرك الكبيرة عندي ومن الأمانة أن أرسلها لك..

وبعد أيام طلب جحا من جاره القدر، وأخفاها في منزله ولما غابت عنده جاء صاحبها فقال جحا..

- لقد ماتت قدرك يا صديقي والبركة فيكم.. عوضكم الله عنها خيرًا..

فدهش صاحبها وقال في عجب..

- كيف تموت القدر يا جحا..؟

قال جحا:

- عجبًا: الذي جعل القدر تلد.. جعل القدر تموت ومن يأخذ المكسب يتحمل الخسارة..

قسمة عادلة

سأل الناس جحا يومًا..

- هل تعرف الحساب؟

قال:

- نعم لا يخفى عليَّ منه شيء..

قيل له:

- كيف تقسم أربعة قروش على ثلاثة رجال..

فسكت قليلاً وكأنه يفكر ثم قال..

- لكل رجل منهم قرشًا.. والقرش الرابع آخذه أنا أجرًا لي على قسمتي..

ليس لها آخر

أراد جحا أن يبيع عمامته وكانت طويلة جدًا، فأخذ ينادي في السوق قائلاً:

- من يشتري هذه العمامة على عيبها..

فقال: لها أول وليس لها آخر..

الشمس والقمر

سألني أهل بلدتنا عن الشمس والقمر.. وأيهما أكثر فائدة للناس من الآخر..

- فقلت إن الشمس تنير بالنهار ولا حاجة للناس إلى النور في النهار.. أما القمر فيبزغ في الليل وينير في الظلام.. ولهذا فإنه أعظم فائدة من الشمس..

قيام الليل

كنا في المسجد نتحدث عن العبادة والتهجد فسألوني:

- هل تقوم الليل يا جحا؟

قلت: أجل فإني دائمًا أقوم في الليل وأبول ثم أعود إلى فراشي.

قسمة عادلة

قال لي أمام مسجدنا:

- اسمع: إنك عالم يا جحا في الحساب وعندي مسألة حيرت عقلي، فلعل عندك لها الجواب.. كيف نقسم أربعة دنانير على ثلاث رجال قلت: الرجل الأول: أعطيه ديناران.. والثاني: كذلك ديناران، ولن يبقى للثالث شيئًا.. فأصبر حتى يفرج الله بدينارين فيأخذهما..

أعوذ بالله

سألني الطاغية تيمور لنك في عنجهية وصلف..

- تعلم يا جحا أن خلفاء بني العباس كانوا يختارون لأنفسهم ألقابًا، فمنهم الموفق بالله، ومنهم المعتصم بالله، ومنهم المتوكل على الله، فلو أني كنت واحدًا منهم، فماذا كنت أختار لنفسي من الألقاب

قلت:

- أعوذ بالله..

عيش وملح

قال رجل غني لجحا..

- إني أريد أن تتغذى معي عيش وملح..

ففرح جحا وظن أنه قد أعد له غدوة طيبة فجوع نفسه ثم ذهب إلى صديقه الغني من الظهر فقدم له عيشا وملحًا، فدهش جحا ولكنه أكل منه كثيرًا لأنه جائع، وفي أثناء الأكل كان الغني يقول لجحا..

- أراك تأكل كثيرًا يظهر أن شهيتك مفتوحة.. كل.. كل.. فإنه طعام لذيذ.. الله ما أحلى هذا الأكل..

فاشتد غيظ جحا لكنه لم يدر ماذا يقول لهذا الغني البخيل، وبعد لحظات مر شحاذ بالباب وقال للغني..

- اعطني مما أعطاك الله..

فقال الغني..

- اذهب من هنا أيها الشحاذ وإلا نزلت عليك وكسرت رأسك بالعصا..

ولكن الشحاذ لم ينصرف.. بل ألح في السؤال..

فقال له جحا: ـ

- أنصحك أيها الشحاذ أن تنصرف، وإلا نزل إليك وكسر رأسك، لأني أعلم منه أنه لا يقول كلامًا إلا حقًا..

هات حمارين

قال السلطان لجحا:

- اطلب أي شيء أنفذه لك حالاً..

فقال:

- لا أطلب يا مولانا السلطان غير شيء واحد، وهو أن تصدر أمرًا بأن آخذ حمارًا من كل رجل يخاف امرأته..

فأصدر السلطان أمرًا بذلك..

وبعد أيام رأى السلطان جحا ماشيًا يسوق أمامه حمير كثيرة والغبار يملأ البلد من كثرتها، فأمر بإحضاره وسأله عن حاله..

فقال جحا:

- إني كلما رأيت رجلاً يخاف امرأته آخذ منه حمارًا كأمرك السلطاني.

فدهش السلطان لأنه رأى أن أكثر الرجال يخافون من زوجاتهم ثم قال جحا..

- وإني رأيت بنتًا في البلد المجاورة.. إنها جميلة كالقمر.. شعرها ذهبي.. وعيناها زرقاوان وأسنانها كاللؤلؤ.. وعنقها كإبريق الفضة.. و.. و..

فقال السلطان في خوف..

- اخفض صوتك يا جحا، لئلا تسمعك زوجتي، فإنها شديدة الغيرة.. قاسية عليَّ..

فضحك جحا وقال..

- أنا آخذ حمارًا من كل رجل من الشعب يخاف امرأته، وأنت يا مولاي السلطان لا بد أن تكون ممتازًا عن الشعب هات حمارين..

القراءة بالحلبى

دفع أحدهم إلى جحا كتابًا ليقرأه له، فعسرت عليه قراءته فسأله جحا:

- من أين جاءك هذا الكتاب؟

فأجاب..

- من مدينة حلب..

فقال جحا:

- صدقت ومن قال لك أني أعرف القراءة بالحلبى..

الأماني

قال أحمق لرفيقه..

- تعالى نتمنى..

قال: أتمنى أن يكون لي قطيع من الغنم عدده ألف..

وقال الآخر: أنا أتمنى أن يكون لي قطيع من الذئاب عدده ألف..

فغضب صاحب الغنم وشتمه.. وتضاربا، فمر بهما جحا وكان معه قدرين مملوءين عسلاً، فسألهما عما بهما، ولما قصا عليه الأمر أنزل القدرين وصبهما على الأرض وقال..

- الله يهرق دمي مثل هذا العسل إن لم تكونا أحمقين..

من فاته المرق

رأى جحا جماعة من البط يسبح في بركة ماء، فلما أراد صيدها طارت كلها، فغمس رغيفاً في ماء البركة وراح يأكله..

فرآه صديقاً له فقال..

- ما هذا يا جحا..؟

فقال جحا:

- من فاته اللحم فعليه بالمرق..

توازن الأرض

كنت أعظ في المسجد فقالوا لي:

- إذا أصبح الصباح رأينا الناس يخرجون من بيوتهم.. هذا يذهب شمالاً.. وذاك يميناً.. فلماذا لا يذهبون في اتجاه واحد.

قلت:

- تلك حكمة الله العالية.. إنما يذهب الناس إلى كل جهة حتى تحفظ الأرض توازنها.. وإلا فلو صاروا في جهة واحدة، لاختل توازن الأرض وسقطت..

غني الحرب

اغتنى جحا من الحرب وادخر ثروة كبيرة، وكانت له بنتًا واحدة اسمها (بهانة) فتقدم لخطبتها أحد الموظفين وقال له..

- أريد أن أتزوج كريمتكم..

قال جحا:

- كريمة.. ليس عندي بنت اسمها كريمة.. بنتي اسمها بهانة..

كذاب

جلس جحا في المقهى يبالغ في كلامه ويدعي أن عنده كثيرًا من الذهب والنقود والملابس، فسمعه لص فطمع فيه..

ولما جاء الليل ذهب اللص إلى منزل جحا ليسرقه..

وفتش اللص كل الحجرات فلم يجد شيئًا يستحق السرقة، فاغتاظ اللص غيظًا شديدًا ووقف يلعن جحا ويشتمه..

وأراد الخروج من الشقة فوجد جحا واقفًا بالقرب من الباب، فخرج اللص ولكن جحا قال له:

- أهلاً وسهلاً.. آنستنا وشرفتنا.. تفضل اشرب شايًا أو قهوة، فنظر إليه اللص غيظًا واتجه نحو الباب ليخرج، فقال له جحا..

- اقفل الباب من فضلك لئلا يدخل علينا اللصوص ويسرقوا ما عندي من ذهب ونقود وملابس غالية..

فقال اللص في غيظ شديد..

- الله يلعنك يا جحا ما أطمعني فيك إلا كلامك الكثير هذا..

جحا في الجيش

كان جحا جنديًا في الجيش وقد لاحظ عليه الضابط أنه أبله لا يعرف شماله من يمينه ولا أمامه من خلفه..

فقال له الضابط..

- انتبه جيدًا يا جحا وفكر بعقلك، وإلا فلماذا خلق الله دماغك..
- خلقها كي تستند عليها رقبتي..

لص ماهر

دخل جحا مطعمًا ليأكل فيه، فلاحظ لصًا غريبًا عن البلدة وضع الشوكة والسكين في جوربه..

فنادى جحا صاحب المطعم وقال له..

أني ساحر عظيم فاقفل أبواب المطعم لأريكم مهارتي في السحر..

فأقفل صاحب المطعم الأبواب واجتمع الزبائن حوله ليروا فنونه وسحره، فوقف جحا على الكرسي وقال:

- أنا ساحر عظيم.. انظروا ماذا أفعل..؟

ثم أخذ ملعقة وشوكة وسكيناً ووضعهم في جوربه قائلاً..

- أنا وضعت أدوات الأكل في جوربي.. واحد.. اثنين.. ثلاثة.. أخرجوا الأدوات من جورب هذا الرجل..

وأشار إلى اللص فأخرج المتفرجون الأدوات من جوربه، فهلل الناس وصفقوا كثيرًا لمهارته السحرية..

وفي الطريق قابل اللص فقال له: ــ

- احذر أن أراك في بلدتنا مرة أخرى، وإلا كشفت أمرك للناس.

في المنام

رأى جحا في المنام أن بعض جاراته يحتلن عليه ويغرينه بزواج بنت جميلة، فقام من نومه وأيقظ زوجته، وكانت نائمة بجانبه تغط في نومها وقال لها:

- النساء يحتلن عليَّ ليزوجونني بنت جميلة، وأنت تغطين في نومك بالله إن لم تقومي وتطردي هؤلاء النسوة لأتزوجها، وتكون لك ضرة تغيظك وتضايقك..

حجرة طعام من غير طعام

بنى غنيًا بيتًا وبعد أن أثثه وفرشه بأفخر الفراش دعا جحا إلى الغداء معه بمناسبة بناء البيت الجديد، وذهب جحا إليه وقت الظهر فدار به صاحب البيت يلف المنزل حجرة حجرة ويريه الفرش والأثاث حتى وقت العصر..

وأحس جحا بالجوع الشديد يقرصه، فصاح لصاحب البيت بأنه جائع فقال له:

- إني لم أر حجرة الطعام..

فقال صديقه: تعالى بنا نذهب إليها فإنها فخمة وأثاثها غال..

فذهب جحا معه لرؤيتها فلم يجد بها أكلاً..

فقال صاحب البيت..

- لا بد أن هذه الغرفة أعجبتك جدًا وأرجو أن تنشئ مثلها في بيتك..

فقال جحا:

- من الضروري إنشاء مثلها.. وسأجعلها خالية من الطعام كحجرتك..

يستحم بثيابه

ذهب إلى الترعة ليستحم فيها، وترك ملابسه على الشط فسرقها اللصوص، فذهب إلى منزله عرياناً..

وبعد أيام نزل إلى الترعة، ونزل فيها بملابسه ليستحم، فرآه أصحابه فقالوا له..

- ما هذا يا جحا.. لقد بللت ملابسك..

فقال جحا..

- تبتل ملابسي عليَّ خير لي من أن يسرقها غيري فتنشف فوقه..

دجاجة زوجتي

مر به رجل فرآه يأكل دجاجة ورغيفاً فقال له..

- يا جحا.. اعطني قطعة..

قال له جحا:

- إنها ليست لي.. وإنما هي لزوجتي أعطتني إياها لآكلها أنا وحدي..

احم... احم

جاء جحا من بلدته إلى القاهرة لزيارة ابنه الموظف، وكان ابنه يعرف أنه يكذب، ويبالغ في كلامه فقال له..

- إذا لاحظت أنك تقول كلامًا غير معقول فسأقول.. احم.. احم، فأقلل من مبالغتك وأصلح خطأك..

وفي يوم جلس مع بعض أصدقاء ابنه فقال لهم..

- إني بنيت مسجدًا في البلدة عرضه عشرة آلاف متر..

فقال ابنه:

- احم.. احم..
- فعلم أنه أخطأ، واستعد لإصلاح خطأه..

وضحك الزوار وسألوه..

- وما طوله..؟

فسكت قليلاً وقال:

- متر واحد..

الأرغفة الطائرة

ذبح رجل دجاجة ونتف ريشها، ثم أعطاها لخباز كي يشويها، وانتظر في منزله حتى تنضج، فلما قاربت النضج فاحت ريحتها فشمها الخباز، فطمع فيها وأكلها هو وعماله..

ولما جاء صاحبها ليأخذها، أدعى الخباز إن الدجاجة بعد أن نضجت، تحولت إلى أميرة جميلة، وطارت من الفرن بجناحها الأبيض.

فدهش الزبون وطار عقله، وقاد الخباز إلى القاضي جحا ليحكم بينهما، سمع جحا قول الخباز، فأجل النظر في القضية إلى اليوم التالي وأمر الخباز أن يرسل إليه من منزله خمسين رغيفًا..

وفي اليوم التالي حضر الزبون والخباز ووقفا أمام جحا فقال للخباز..

- كيف تغشني أيها الخباز وترسل إليَّ أرغفة مسحورة.. إنها قد طارت في الجو دون أن يكون لها أجنحة، وأني لا أدفع لك ثمنها لأنني لا أنتفع بها..

فصاح الخباز متعجبًا..

- كيف تطير الأرغفة يا سيدي دون أن يكون لها أجنحة..

فقال جحا:

- إن الذي جعل الدجاجة تتحول إلى فتاة تطير بجناحيها الأبيض، قادرًا على أن يجعل الأرغفة تطير في الهواء بدون أجنحة..

جحا والحفار

مات جار له فأرسل جحا إلى الحفار، ليحفر له قبرًا فجرى بينهما نقاش في أجرة الحفر، فمضى جحا إلى السوق واشترى خشبة بدرهمين وجاء يسأله عنها فقال..

- إن الحفار لا يحفر بأقل من خمسة دراهم وقد اشترينا هذه الخشبة بدرهمين لنصلبه عليها وتربح ثلاث دراهم، ويستريح من ضغطه ومساءلة منكر ونكير.

فصاحوا عليه وبعثوا غيره ليحفر فقال..

- والله مليح ما بقي أحدًا ينصح أحدًا..

كم عمرك

كان جحا قاضيًا فحضرت أمامه امرأة عجوز شاهدة في قضية، فأمرها جحا أن تقسم اليمين فقالت العجوز..

- والله العظيم أقول الحق..؟

فسألها جحا:

- كم سنة عمرك..؟

فقالت:

- إذا كنت ستسألني عن عمري.. فلم تأمرني أن أقسم بالله العظيم..؟!

من معها العقد

كان لجحا زوجتان ففكر في حيلة ليرضيهما معًا، فأعطى كلا منهما عقدًا وأمرها ألا تخبر ضرتها، وفي يوم أمسكتا بخناقه وقالتا له..

- من تحب منا أكثر من الأخرى..

فقال جحا:

- إني أحب من أهديت لها العقد أكثر من الأخرى..
- فتركته زوجتاه واعتقدت كل منهما أنه يحبها وحدها..

الصلاة على الدجاجة

دعا أحد أصدقاءه ليتغذى، فقدم الصديق مرقًا ودجاجة لم تنضج، لأنها عجوز فشرب المرق ولم يستطع أن يأكل الدجاجة لأنها لم تنضج..

وفي اليوم التالي دعاه ليتغذى معه، فقدم له المرق والدجاجة، فشرب المرق ولم يستطع أن يأكل الدجاجة..

وفي اليوم الثالث دعاه الصديق ليتغذى معه، فقدم له المرق والدجاجة، فشرب المرق ولم يستطع أن يأكل الدجاجة..

فأخذها ووضعها ناحية القبلة وجعل يصلي عليها فقال له صديقه..

- ماذا تفعل؟

- يجب أن أصلي على هذا اللحم لأنه لا بد أن يكون لحم نبي أو ولي.. فقد دخل النار ثلاث مرات ولم تؤثر فيه..

هذه بتلك

وقف جحا الشحاذ بباب تركي غني عنده خدم كثيرون وطلب منه إحسانًا، وكان التركي جالسًا في شرفة منزله الكبير فقال التركي..

- يا حرجان.. قل لكارون.. يقول لياقوت.. يقول للشحاذ الله يرزقك من غيرنا..

فاغتاظ جحا ورفع يديه إلى أعلا وقال..

- يا رب قل لإسرائيل.. يقول لميكائيل.. يقول لعزرائيل أقبض روح هذا الغني البخيل..

كل شيء

أحضر جحا لزوجته رطلاً من اللحم وقال لها:

- لأي نوع من الخضر يصلح هذا اللحم؟

فقلبت زوجته اللحم بين يديها وقالت:

- هذا اللحم طيب ويصلح لكل شيء..

فقال جحا:

- إذن اطبخي لي كل شيء..

ثمن رائحة الشواء

وقف فقير أمام محل كباب.. وكان الرائحة تفوح منه، وكان الفقير جائعًا فاشترى رغيفًا وجلس بالقرب من محل الشواء.. وأكل الرغيف على رائحة الشواء، فرآه الشواء فخرج إليه وطلب منه ثمن رائحة الشواء فلم يدفع له فأمسك بخناقه وساقه إلى القاضي جحا وقال له يا سيدي.. إن هذا الرجل أكل رغيفًا على رائحة الشواء، وقد طلبت منه أن يدفع ثمن رائحة الشواء فلم يرض أن يدفع شيئًا.

ففكر جحا قليلاً ثم قال..

- كم قرشًا تطلب ثمنًا لرائحة شوائك..

فقال الرجل:

- اطلب خمسة قروش..

فأخرج جحا قطعة فضية من ذات الخمسة قروش ورنهــا على رخامة أمامه وقال للشواء..

- هل سمعت رنين النقود..

فقال الشواء:

- نعم يا سيدي القاضي..

فقال:

- خذ الرنين فهو ثمن رائحة شوائك..

طماع أيضًا

- قيل لجحا..

- ما أبلغ طمعك يا جحا..!!

قال: ما رأيت أكلاً مع خادم إلا ظننت أنه لي، ولا جنازة تمر إلا وصاحبها أوصى لي بشيء، وقد اجتمع الصبية يومًا يلعبون حولي في الحارة، ويعاكسون فأردت أن أبعدهم عني، فقلت لهم إن في بيت الشيخ عمران حفلة يقدم فيهــا اللحــم واللفت والأرز لكل من يزوره.

فصدقني الأولاد وذهبوا إلى منزل الشيخ عمران في آخر البلدة في الظلام الشديد، ولكني لم أجد شيئاً، قلت في نفسي..

- لعنكم الله أيها الأولاد، أتغيبون عني وتعشمونني حتى آتي إلى هنا في هذا الظلام..

ما يغيظ المرأة

جاء إلى جحا رجل وهو في شدة الحيرة والارتباك وقال له..

- أدركني يا سيدي الشيخ أن زوجتي وجارة لها قد تشاجرتا، وأمسكت كل منهما بشعر الأخرى..

قال جحا:

- هل تشاجرتا من أجل العمر..؟

فقال الرجل:

- لا سيدي..

قال جحا:

- لا يغيظ المرأة إلا أن تذكر لها عمرها الحقيقي، وما دام الشجار ليس بسبب العمر فلا بد أنهما اصطلحا..

حتى يخف عن الحمار حمله

ملأ جحا إبريقًا كبيرًا من النهر، ووضعه على رأسه وركب حماره فقابله صديق له قائلاً:

- لماذا تتعب نفسك وتضع الإبريق فوق رأسك..؟

فقال الرجل:

- يمكنك أن تضعه أمامك على السرج..

قال جحا..

- يا شيخ اتق الله وارحم.. ألا يكفي أن أركب هذا الحمار المسكين حتى أضع فوق سرجه الإبريق مملوءًا بالماء فأزيده تعبًا على تعب، ولكن إذا وضعت الإبريق على رأسه، فإنني أخفف عن الحمار حمله..

كيد المرأة

خرجت زوجة جحا من منزلها لتشاهد حفلة عرس على أن تحضر بعد الغروب، ولكنها تأخرت إلى منتصف الليل، فاغتاظ جحا وقد جلس خلف الباب ينتظرها، فلما عادت

وجدت الباب مغلقاً، فنادته أن يفتحه فلم يفعل، وأخيرًا قالت له:

- إن لم تفتح لي يا جحا فسألقي بنفسي من فوق السلم، فلم يهتم بكلامها، فألقت حجرًا كبيرًا في حوش المنزل، فظن جحا أن زوجته ألقت بنفسها من على السلم، فقدم وفتح الباب بسرعة وخرج ينظر حوله، فأسرعت زوجته ودخلت الشقة وأغلقت الباب، فدق جحا على الباب وقال لزوجته..

افتحي الباب يا عنيدة..

فصاحت زوجته لتسمع الجيران..

- إنك تحضر كل يوم إلى البيت بعد نصف الليل وتدق الباب وتقلقني وتقلق الجيران.. اذهب إلى حيث كنت، تعالوا انظروا أيها الجيران كيف يسيء جحا معاملتي.. يضربني وينكد عليَّ حياتي، فحضر الجيران ولاموه، فجعل يضحك ويقول:

- لا تؤاخذوني يا جيراني فإنها مظلومة، ولكني مخطئ لأني فتحت لها الباب..

علم الموتى

نشب خلاف بين أهل بلدتنا حول الدنيا، ثم جاءوا يسألونني..

- هل لك أن تفيدنا يا جحا عن طول الدنيا وكم يبلغ من الأذرع؟

قلت:

- هذا من علم الموتى فإذا رأيتم ميتًا، فاسألوه عن ذلك لأنه ذرع الدنيا وعداها إلى الآخرة..

... ولكن...

كان جحا يلبس جبة قديمة ممزقة، فدخل المسجد ليصلي، فخلع الجبة وذهب إلى دورة المياه ليتوضأ، فأتى لص وسرق الجبة، فرآه جحا فأتى إليه واقترب منه، وقال:

- الجبة قديمة ممزقة ولا تساوي شيئًا فخذها.. ولكن هات صرة النقود التي بها..

طارت الحمامتان

اشترى جحا حمامتين بأحد عشر قرشًا، ومضى في طريقه إلى بيته، فقابله صديق له فسأله عن ثمنها، فلم يرد عليه جحا.. بل فرد أصابع كفيه وأخرج لسانه فطارت الحمامتان..

وسأله الرجل..

- لماذا فعلت هذا يا جحا..؟

فقال جحا غاضبًا..

- وكيف تكون الإجابة..

خلاصة الطب

كانوا يجلسون في مجلس تيمور لنك يتحدثون عن الأمراض وطبيعتها ثم سألوه..

- ما خلاصة الطب عندك أيها الشيخ..؟

قلت:

- الطعام الجيد والبعد عن أراذل الناس..

الميت الحي

جلس جحا مع زوجته يتحدثا فقالت له:

- إن المرء إذا مات بردت يداه وقدماه..

وفي يوم ركب جحا حماره، فذهب إلى الصحراء ليجمع الحطب، وكان الجو باردًا فأحس ببرودة أطرافه، فتذكر حديث زوجته، وأيقن أنه سيموت فنام في ظل شجرة، واستعد للموت وترك حماره يأكل الحشيش بجانبه..

جاءت الذئاب وأكلت الحمار أمامه فاغتاظ منها وقال لها:

- آه يا خسارة.. لو لم أكن ميتًا لانتقمت من هذه الذئاب اللعينة التي تنتهز الفرصة وتأكل الحمار، وهي تعلم أن صاحبه ميت ولا يستطيع أن يحميه منها.

جحا الطماع

مر جحا بصانع يعمل طبقًا من الفخار فقال له:

- أرجو أن تصنع لي هذا الطبق كبيرًا..

فقال الصانع بعجب..

- وماذا تستفيد من ذلك يا جحا؟

فقال:

- عسى أن يشتريه شخص ويقدم لي فيه هدية..

غبي

وضع رجل بيضة في منديل، ومشى إلى بيته فقابله جحا قال الرجل: ماذا في المنديل يا جحا؟ خمن.. وإن أخبرتني بما فيه فسأعطيك عشر وحدات تعملهم عجة..

فلم يعرف جحا وتحير وقال للرجل:

- أرجو أن توضح أكثر حتى أعرف ما في المنديل..

فقال الرجل:

- إنه يؤكل ولونه أبيض بداخله شيء أبيض وأصفر ويخرج من الدجاج..

فكر جحا كثيرًا ثم قال:

- آه.. الآن علمت أنه لفت بالجزر.. أليس كذلك؟!

ثور السلطان

حضر إليَّ في أول يوم جلوس للقضاء رجل غر أحمق في دعوى عجيبة لا يصدقها العقل أو قل لا يجب أن يصدقها، فقد زعم أن ثور السلطان الأحمر قد نطح بقرته البيضاء فشق بطنها وأخرج أمعاءها فماتت لساعتها، وطلب مني أن أحكم له على السلطان حتى يعوضه عنها ببقرة أخرى من عنده، لأن السلطان عنده أبقار كثيرة.. أما الرجل فبقرته هي الوحيدة، وهي قوام حياته ومصدر رزقه وزرق أولاده..

ولقد زجرت ذلك الرجل الأحمق وقلت له:

- إنك في دعواك غر مأفون، لا تدري وجه الحق فيما تقول، فإن الشرع قد أهدر دم الحيوان، فلا حق لك على السلطان ولا على ثور السلطان..

ولكن الأحمق لم يفهم ما أعني، فاضطررت إلى معالجة المسألة حتى يفهم فقلت له:

- أين اعتدى ثور السلطان على بقرتك؟

قال:

- عندما كانت موجودة بالحقل..
- إذن لو لم تكن موجودة في الحقل لما اعتدى عليها ثور السلطان، فوجودها هو السبب والأصل وأنت المسئول عن ذلك، ولا بد أن تؤاخذ بهذه الجرعة فتدفع عوضًا للسلطان عما تسببت فيه لثوره من مشقة وعناء..

ويظهر أن الأحمق قد بدأ يفهم ما أعني فسرعان ما قال:

- ولكني قد نسيت يا جحا فقصصت عليك القصة معكوسة مقلوبة..

قلت: إذن ما هي القصة..؟

قال: إن بقرتي لا أرجعها الله هي التي تطاولت فنظرت بعين الطمع إلى ثور السلطان الأحمر، فتفضل عليها بالملاطفة والمداعبة، فكان أن شق بطنها وخرجت أمعاءها، وماتت لساعتها وهي الجانية على نفسها..

قلت: إذن بدأت تفهم أيها المأفون الأحمق، فانصرف ولا تعد إلى مثلها أبدًا، فتؤخذ بجريرة المذنبين وقلت هذا لأني أعرف أن سيف السلطان أقطع من حجة الرجل..

فضولي

قال أحد الفضوليين لجحا:

- إني رأيت منذ وقت قصير رجلين يحملان دجاجة ناضجة في صحن كبير ويمشيان بسرعة..

فقال جحا:

- وماذا يهمني من ذلك..؟

قال الفضولي:

- إنهما ذاهبان بها إليك..

قال جحا:

- وما يهمني من ذلك..

الأكراد يجهلون التركية

جاء يومًا إلى أحد الأكراد مندوبًا فاحتفل به أهل البلدة احتفالاً عظيما وكانت هيئته الخارجية تدل على جلاله ووقار وهيبة، وكان بصحبة صديقًا له، فأقاموا له وليمة عظيمة وكان الطعام الذي قدم إليه مما يهيج الغازات الداخلية فأفلت منه من حيث لا يدري صوتًا هز جوانب الغرفة فصمت

الحاضرون خجلاً، أما هو فلم يبالي بشيء وعاد إلى منزله، فتقدم إليه تلميذه وقال بحياء..

- إن ما أفلته سيدي في هذه الجلسة المهيبة لم يكن لائقًا بأدبه وفضله..
- ويحك من أبله أو لا تعلم أن القوم أكراد وأني أفلت ما أفلته باللغة التركية التي لا يفهمونها..

قال هذا بدون اكتراث..

يا ليت كل يوم عيد

ذهب جحا في إحدى سني القحط إلى قرية فرأى الأهالي في بحبوحة من العيش والرفاهية، يقدمون أفخر أنواع الحلوى وأطيب المأكولات، فقال ما بال أهل هذه القرية في سعة من العيش وسكان بلدتنا يتضورون جوعًا؟

فأجابه أحد السامعين..

- ألا تعلم أننا في يوم العيد، وأن كل إنسان يعد لهذا اليوم المبارك من الطعام والحلوى، ما لم يحلم به في بقية أيام السنة.

ففكر جحا قائلاً وقال:

- يا ليت كل يوم عيد حتى نخلص بلـــدتنا مـــن هـــذا الضيق..

مضحكة

دعا تيمور لنك جحا لركوب دابته والدخول فـــي ميـــدان السباق للتسابق، فذهب إلى الإسطبل وركـــب ثـــورًا هرمًـــا وجرى به، فلما رآه الناس ضحكوا وضجوا، فســـأله تيمـــور لنك..

- كيف تدخل ميدان السباق وأنت راكب هذا الثور..

فأجابه:

- إنني جربت هذا الثور منذ عشر سنوات وكان يسابق الطير في ركضه.. فكيف يكون الآن..!؟

اتركوني مقلوبًا

ذهب لإلقاء الدرس في المسجد ومعه مؤيـــدوه وتلاميـــذه فركب حماره بالخلف فسخروا منه وقال له أحدهم..

- لماذا تركب هكذا يا سيدي..؟

- وما أصنع..؟ إني إذا ركبت مستقيمًا تبقـون خلفـي وإذا مشيتم أمامي أبقى خلفكما.. اتركـوني مقلوبًـا أحسن..

القمر في بلدنا

ذهب يومًا إلى مدينة (سيوري حصا) برأي الناس تتجمع في محل عال لرؤية الهلال في أول شهر الصوم..

راح يهزأ بهم ويقول:

- عجبًا يا أهل هذه البلدان.. أهالي بلدتي يرون القصر كدولاب العربة ولا يعبأون بـه.. وأنـتم تضـيعون أوقاتكم في البحث عن الهلال وهو أرق من الخيط..

لم يرض الحمار

جاءه جاره يطلب إعارته حماره، وقال إني ذاهب للحمار أستشيره فعساه يقبل، ثم دخل إلى الإسـطبل وعـاد يقـول لجاره..

- استشرت الحمار فلم يرض لأنه يزعم أنك تضـربه ضربًا مبرحًا، وتشتمه هو وصاحبه..

زوجتي كحماري

لا يزال المرء في مأمن من الدهشة.. فإذا ما عثر به العثار تتابعت النكبات..

هكذا قال الأولون.. وهكذا لأن شأني.. فقد ماتت زوجتي على الرغم مما لاقيت من مشاكلة هذه المرأة، وما أصابني من طول لسانها، فإني حزنت عليها ولبست من أجلها السواد.. فإن الشريك المناكف خير من الوحدة على أية حال..

ولم تمضي الأيام حتى مات حماري، فكانت قاصمة الظهر.. وكانت النكبة لا تحتمل والتي لم أطق عليها صبرًا قط..

وكنت كلما تذكرت حماري العزيز.. والعمر الطيب الذي قضيته في صحبته اشتد بي الحزن.. وطال بكائي ونحيبي على طلعته البهية التي لم تكتمل عيني برؤيتها مرة أخرى..

امرأة تتزوج امرأة

تزوج جحا امرأة قبيحة الوجه، وكلما نظر إليها أغتم وخيل له إنها قرد فيخفي وجهه بيديه..

وفي يوم أطلت زوجته من الشباك، فوجدت فتاة جميلة تسير في الشارع، فنادت جحا وقالت له:

- تعالي.. وانظر إلى هذه الفتاة الجميلة..

فنظر إليها وتحسر على حظه وقال:

- آه عندي فكرة عظيمة..

فقالت زوجته..

- وما هي؟

قال جحا:

- ما رأيك في أن نتزوجها معًا..

وأقبل الناس عليَّ يلومونني ويقولون..

- ما هذا يا جحا.. لقد ماتت زوجتك وهي شريكة حياتك، فكان حزنك عليها قليلاً.. ثم مات حمارك فلم

تتقطع عن البكاء والنحيب ولا خف حزنك عنه.. فهل لأن حمارك أعز من زوجتك؟

قلت: يا قوم حسبكم.. فهذا هو شأني.. ماتت زوجتي فكل من جاء لعزائي منكم قال لي..

- لا تحزن فإن النساء كثيرات.. هذا يقول إن أختي يمكن أن تكون خير زوجة لك.. وذاك يقول: إن مما يسرني أن تكون صهري بزواج ابنتي.. ثم مات حماري فما وجدت واحدًا منكم يقول لي من باب المجاملة سآتيك بحمار غيره، أو ليتني كنت حمارًا لك..

مال الفقير

كان يمضغ قطعة من (العلكة) اللبان في أحد المجالس فدعوه لتناول الطعام، ولما جلس ليأكل أخرج قطعة اللبان من فمه وألصقها بأنفه فقالوا له:

- ما هذا يا جحا...؟

فأجابهم..

- ألم يقولوا إن مال الفقير يجب أن يكون نصب عينيه..

من يعطي الكثير لا يبخل بالقليل

كان من عادة الشيخ جحا أن يدعو الله في وقت السحر، ويطلب منه أن يعطيه ألف قطعة ذهب، وأنه لا يقبلها إذا كانت ألف وتسعمائة وتسعة وتسعين، وكان له جار يهودي يسمع في كل يوم هذا الدعاء.. فأراد أن يجرب جحا فرمى إليه بالكيس من المدخنة وراح ينظر ما يفعله جحا بالذهب..

فما كان منه إلا أن حمد ربه وشكره على تلبية دعاؤه..

وحمل الكيس بكل خشوع ووقار وبدأ يعد ما فيه فوجد مطلوبه إلا ذهبة واحدة، فلم يبال بالنقص وقال:

- إن الذي أنزل لي ٩٩٩ ذهبًا لا يبخل عليَّ بذهبة واحدة ثم أخذ الكيس وخبأه، فلما رأى اليهودي ذلك أسرع على دار جحا ضاحكًا وقال له..
- رد إليَّ ذهبي فقد أردت تجربتك ومداعبتك لأعرف صدق ما تدعيه من طلبك إلى الله..

قال جحا مستغربًا..

- وأي دراهم تريدها مني..؟ فهل سبق لك أن أعرتني شيئًا..؟

قال اليهودي:

- يا سيدي الشيخ.. إن الدراهم هي غير مطلوبك، وإنها دراهمي ألقيتها إليك من المدخنة..

قال جحا..

- لا شك أنك مجنون أيها اليهودي الحقود.. وأن هذه القصة التي أسمعها منك لا يصدقها أي عاقل في العالم، فهل سمعت في زمانك أن يهوديًا بخيلاً مثلك يخطر بمثل هذه المخاطرة، ويلقي إليَّ بهذا المبلغ من المدخنة.. فإن ما نزل عليَّ هو جواب دعائي من الله، وليس هذا بكثير من خزائن الله الواسعة..

واستمر الجدال بينهما على هذه الحال..

ولما رأى اليهودي إصرار الشيخ على قوله ودعواه، علم أنه لا يمكن حسم الخلاف إلا في المحكمة، فقال له هيا بنا إلى القاضي..

قال جحا:

- كما تريد.. ولكني رجل شيخ كما ترى ولا أستطيع السير والطقس بارد، وليس عندي من الثياب ما يرد عني شدة البرد..

قال اليهودي:

- أنا آتيك ببعلة وفروة..

وهكذا سار اليهودي على قدميك وركب جحا الدابة، وارتدى الفروة وذهبا إلى المحكمة فدخلا على القاضي..

وبدأ اليهودي بقصته ودعواه.. ولما انتهى قال القاضي لجحا:

- وأنت ماذا تقول؟

قال جحا:

- سله إذا كان قد أعطاني درهمًا واحدًا في يوم من الأيام، وقد أقام عليَّ هذه الدعوى لأنه رآني أعد الدراهم، والحقيقة أني طلبت من الله ذهبًا، وهو سبحانه وتعالى قادر على أن يعطيني الكثير.. وأما هذا اليهودي الذي يدعي بالباطل.. فقد عرف عنه أنه لو رأى شخصًا يموت جوعًا لما أجاد عليه بقطعة من الخبز.. فكيف تصدق أنه يعطيني هذا المبلغ

الكبير.. وإنما هو يريد أن يمكر عليَّ ويأخذ مني مالي.. ولو استطاع هذا اليهودي لما تورع من أخذ بغلتي التي بالخارج ولما تأخر..

فدهش اليهودي من هذه القصة الجديدة، فخاف أن يلحق البغلة بالدراهم فقال..

- أو تنكر عليَّ بغلتي أيضًا، وقد أتيتك بها لتركبها لأنك ادعيت أنك شيخ عجوز، ولا تستطيع الحضور إلى المحكمة ماشيًا على قدميك..

قال جحا:

- أنصت يا سيدي القاضي واسمع هذه الدعوى الباطلة، فإنني لست آمنًا بعد اليوم على كل ما تملكه يداي وحتى ما أرتديه من ملابس.. ولعله يقول إن هذه الفروة أنه ألبسها لي أيضًا..

فارتبك اليهودي وقال:

- إن هذه الفروة فروتي أيضًا..

فنهض عندئذ القاضي ووضع حدًا لهذا الجدال بين الخصمين وقال لليهودي..

- اخرج من هنا.. لقد ظهر لي بطلان دعواك وفهمت حيلك وأكاذيبك.. اذهب فإنك تريد سلب مال هذا الشيخ المسكين، وتأخذ منه بغلته وملابسه..

فخرج اليهودي باكيًا شاكيًا وركب جحا البغلة، وعاد إلى داره مطمئنًا.. فلما وصل أرسل يطلب جاره اليهودي، فجاءه باكيًا مستغيثًا فأعطاه جحا حاجياته قائلاً:

إياك أن تتدل بين الخالق والمخلوق، وأن تزعج عباد الله تعالى.. ولا تجسسوا..

فكان هذا الدرس العملي أعظم واعظ لصاحبنا اليهودي، لأنه كان يظن جحا مغفلاً، وما كان ينتظر منه هذه القصة الغريبة بعد هذا العذاب الطويل..

الحكم عن خبرة

تولى القضاء فجاءه يومًا رجلاً يدعي على آخر أنه عضه في أذنه، فدافع المدعى عليه قائلاً:

إنه هو الذي عض أذن نفسه..

قال جحا:

- اصبروا قليلاً حتى أعود إليكما، فأحكم بينكما..

ثم دخل داره وأخذ يجرب أن يعض نفسه، ويقرب أذنه من فمه..

وبينما هو في هذه المحاولة وقع على الأرض فشج رأسه، فربط موضع الشجة وعاد إلى المحكمة..

فتقدم إليه المدعي وقال:

- أنصفنا يا مولاي هل ترى أنه بالإمكان أن يعض الإنسان نفسه، ويقع على الأرض فيشج رأسه أيضًا..

واحدة بواحدة

كان جحا ينظر من نافذة حجرته في الدور الرابع، وإذا برجل يطلب منه أن يهبط ليحدثه في أمر هام..

وهبط جحا فقال الرجل له:

- أنا فقير الحال، وأريد حسنة يا سيدي..

فاغتاظ جحا منه.. ولكنه كظم غيظه وقال له:

- اتبعني..

وصعد إلى أعلا البيت والرجل يتبعه.. فلما وصلا إلى الطابق العلوي التفت إلى السائل وقال له:

- الله يعطيك..

فقال الفقير..

- ولماذا لم تقل ونحن تحت..
- وأنت لماذا أنزلتني، ولم تقل لي وأنا فوق..؟

القمر القديم

كنت مارًا ذات يوم بالقرب من أحد الأودية فاعترضني راع وسألني..

- هل أنت فقيه يا سيدي..؟
- نعم..
- انظر إلى هذا الوادي وإلى هؤلاء القتلى فيه.. فإنني قتلتهم لتظاهرهم بالعلم، ولعجزهم عن جواب واحد سألتهم إياه..

فقلت مستغربًا ولست خائفًا لأني كثيرًا ما واجهت مثل هذه المآزق والمشاكل..

- وما سؤالك..؟

قال وهو يحدق في..

- إن القمر حينما يكون هلالاً نراه صغيرًا.. ثم يكبر ويصير بحجم الدولاب ويعود يصغر إلى أن يغيب ويطلع غيره.. فما يصنعون بالقديم..؟

فتنحنح جحا وقال:

- آسفًا على هؤلاء الجهلاء.. أما فيهم من كان يعرف أن الأقمار القديمة تخبأ للشتاء ثم يعمل منها البرق..

فانطرح الراعي على يدي الشيخ يقبلهما وهو يقول:

- والله هذا الذي كان يخطر ببالي..

- فلتأكلهم النار جميعًا..

وفي اليوم الثاني نزلنا على آخر فقيل لنا إن دارًا أسقطت على سكانها، فمات كثيرون تحت الأنقاض..، فزمجر ضيقًا وصاح:

- لماذا يتركونها تسقط عليهم..؟

وفي اليوم الثالث..

نزلنا على قرية وقد انحدر عليها السيل من الجبال، فجرف بيوتها وأهلك أهلها.. فقال الطاغية..

- ولماذا لم يدفعوا السيل عن أنفسهم..؟!

وفي اليوم الرابع..

نزلنا على قرية فقيل لنا إن عجلاً انطلق عدوًا ثائرًا، فقتل عددًا كبيرًا من الناس، فمنهم من شجت بطنه، ومنهم من فقأت عينه.. ومنهم من تكسرت ضلوعه..

فقال هذا الطاغية..

- ما أحرى بهذا العجل الشجاع أن يكون فارسًا في الجيش، وهالني ما رأيت من الفظائع، فمثلت بين يدي الطاغية في تضرع وخشوع وقلت:
- يا مولانا السلطان.. إن طالع السعد يبدو حيث مررتم، وطائر اليمن يقف حيث حللتم.. وفي كل يوم يشرق الخير من جبينكم على هؤلاء المساكين..

وأخشى أن تمتد رحلتكم أكثر من هذا فيكون في ذلك هلاك العباد وخراب البلاد..

زوجوه من أجل الهريسة

أقيمت وليمة العرس لجحا فحضرها أصحابه وأهله، وأخذوا يأكلون الطعام المهيأ لهم وقد كان من الهريسة.. وجحا يحبها كثيرًا، ولكنهم نسوا أن ينادوه ليأكل معهم فاغتاظ

منهم وخرج، وسألوا عنه بعد ساعة فلم يجدوه، فأرسلوا من يبحث عنه.. وأخيرًا وجدوه عند أحـــد أقربائـــه فأحضـــروه وقالوا له..

- كيف غبت.. والليلة ليلة زفافك..

فقال في غير اكتراث وفي غضب..

- زوجوا من أكل الهريسة..

ولي الله جحا

سأل الناس جحا يومًا..

- يا سيدنا الشيخ.. ما الدليل على أنك ولي من أوليـــاء الله الصالحين..؟

قال: إني أدعو الحجر فيأتي سريعًا، وأنادي الشجرة فتأتي سريعة، فقال له أصحابه..

- نريد أن نرى ذلك بأعيننا..

فدعا جحا الشجرة فلم تتحرك، ثم دعاها ثانيًا وثالثة فلـــم فضحك منه أصحابه وعيروه بأنه كذاب، فذهب جحـــا إلـــى الشجرة وقال لها..

- أما سمعت ندائي؟ مالك لا تتحركي..؟ ما هذا الكسل؟

فقال له أصحابه:

- ما هذا يا جحا.. إنك قد ذهبت إلى الشجرة ولم تحضر هي إليك..

فقال جحا:

- أنتم تعرفون أن الأولياء غير متكبرين، فإذا تكبرت الشجرة فإننا نحن الأولياء لا نتكبر عليها.. بل نمشي إليها..

الولد سر أبيه

حضر إليَّ رجل معروف بالشيخ، وشكا إليَّ من زوجته تجد عسرًا في الولادة، وقال إنها تطلق منذ ثلاثة أيام، ولكن الولد لا يريد أن يخرج..

فقلت: اسمعوه رنين النقود فإني أعتقد أنه سوف يخرج إليكم مسرعًا..

نشف عرقك

الجو حار... والعرق ينزل على الملابس، وقد جلس عبد أسود يوم يكتب، فنزلت نقطة حبر أسود على الورق، وكان جحا جالسًا بالقرب منه فقال له:

- نشف عرقك..

لا أدري

حضر إليَّ رجل وقال لي: إنه سمع عن علمي الواسع بجميع المسائل، وأنه جاء مسافرًا من أقصى الأقطار وعنده أربعون مسألة يرجو جوابًا عنها.. ثم أخذ يسرد عليَّ مسائله حتى انتهى منها، وجلس ينتظر الجواب..

قلت: هذه أربعون مسألة لها إلا جواب واحد..

قال: وما هو؟

قلت: لا أدري..

لا تريني وجهك

تزوج جحا بامرأة دميمة.. قبيحة الوجه، وفي الصباح سألته في رقة ودلال..

- أرجو أن تخبرني يا جحا إلى أي أقربائك من الرجال أريه وجهي، ومن منهم لا تريده أن يراني؟

فقال لها..

- لا تريني وجهك وأريه لمن تشائين..

طالع السعد

ما كنت أحسب أن الناس أبراج وطوالع في الخير والشر حتى رأيت ما رأيت..

فقد خرج الطاغية تيمور لنك وخرجت معه في رحلة إلى الضواحي والمدن، ليطمئن على إذعان الناس لجبروته ومذلتهم لطغيانه.. وما رأيت أحدًا كهذا الرجل يفرح لذل الناس..

ونزل أول يوم على قرية نشب فيها حريق أكل دورها وشتت أهلها وتركها خرابًا، ورأى الطاغية هذه الطاعة العمياء.. وزمجر غضبًا وصاح..

مرق.. مرق

أهدى أحد القرويين أرنبًا لجحا.. فأكرمه جحا وانصرف الرجل شاكرًا، وفي ثاني يوم جاءه قرويان وانتظر ضيافته فسألهما..

- من أنتما..

فقالا له..

- نحن جيران صاحب الأرنب..

فأكرمهما وخرجا شاكرين..

وفي ثالث يوم جاءه جماعة أيضًا من القرويين فسألهم عن شأنهم فقالوا..

- نحن جيران جيران صاحب الأرنب.

فدخل جحا بيته وأخرج لهم قدرًا ساخنًا وقدمه لهم فقالوا له..

- ما هذا؟

فقال جحا..

- هذا مرق الأرنب يا جيران، جيران صاحب الأرنب..

لم أجد وسيلة بالمشاجرة

تجادل جحا وزوجته.. فأخذ عصاه ليضربها فهربت إلــى دار أحد الجيران.. وتبعها جحا.. وبينما هو فــي الطريــق صادفه بعض أصحابه وهدأوا من روعه.. وقالوا له..

- أنت رجل فاضل فلا تعبأ بالنساء لأنهــن ناقصــات عقل، وكلنا يمر معنا كثيرًا من هذه المشاكل.. وأنت طالما وقعت فهذا مصيرك..

وأخذوا يرددون مثل هذا الكلام حتى هدأ قلــيلاً، فتقــدم أحدهم وقال..

- والآن يا جحا وقد هدأت، فهيا خذ زوجتك وتشــاجر معها من جديد حتى نتعلم منك كيف نعامل زوجاتنا.

بلاهة

دخلت إلى مزرعته بقرة فتناول عصاه ولحق بها ففــرت من أمامه، ولكنه صادفها بعد أسبوع تجر عربة نقــل أحــد الفلاحين فلم يصبر عن الهجوم عليها وضربها بعصاه، ولما انتهره صاحبها مستغربًا منه هذا العمل.. وسائلاً إيــاه عــن الذنب الذي اقترفته البقرة أجابه:

- لا تتدخل أيها الرجل الجاهل فيما لا يعنيك فـــالبقرة تعرف ذنبها..

والد ابني

لبس يومًا ثيابًا سوداء فتقدم إليه بعض معارفه، وسأله عما إذا كانت أصابته مصيبة ألبسته السواد..

فقال: نعم لقد أصبت بوفاة والد ابني..!!

البقرة أنفع من الزوجة

مرضت زوجة جحا وكـــان يكرههـــا لســـفاهتها وســـوء أخلاقها، وقد مرضت بقرته التي كان يحبها، لأنه يحلب منها اللبن..

فعرض جحا زوجته وبقرته علـــى الطبيـــب، ففحصـــهما جيدًا، ثم كتب له دواء لزوجته ودواء لبقرته..

فذهب جحا إلى الصيدلية ليشتري الدواء، فجهزه الصيدلي وأعطاه زجاجتين، إحداهما دواء لزوجته وفيه بعـــض الســـم وفي الأخرى دواء لبقرته..

فقال جحا للصيدلي:

- من فضلك قل لي يا سيدي أي الدوائين فيه السم لئلا أغلط، فأعطي دواء زوجتي للبقرة فتموت، وموتها مصيبة كبيرة عليَّ.

ماذا تنفع الثياب في يوم الحشر

كان يربي لمؤونة الشتاء خروفًا كبيرًا جميلاً، وكان يحبه ويبني له صروح الأماني..

فأراد أصحابه أن يلعبوا عليه ويسلبوه خروفه فلم ينجحوا، فاتفقوا على أن يحتالوا عليه فجاءه أحدهم وقال له:

- ماذا أنت صانع بخروفك هذا وستقوم القيامة غدًا أو بعد غد؟ هيا لنذبحه ونطعمك منه.

فلم يعبأ جحا بقول أو كلام صاحبه، وكل واحد من أصحابه جاءه بعد الآخر؛ يردد عليه بنفس النغمة حتى ضاق صدره ووعدهم بأن يذبحه في اليوم الثاني لأكله في مأدبة فاخرة..

وهكذا ذبح الخروف وأشعلت النار فأخذ جحا يشويه عليها، وبينما هو قائم بهذه المهمة تركه رفاقه وراحوا يلعبون

ويتنزهون بعيدًا عنه بعد أن تركوا أمامه قسمًا من ثيابهم يحرسها..

فاستاء من عملهم لأنهم تركوه وحده دون أن يعرض عليه أحدهم مساعدته..

فما كان منه إلا أن جمع ثيابهم وألقاها في النار فالتهمتها.

ولما عادوا إليه ووجدوا ثيابهم رمادًا في النار هجموا عليه هجمة واحدة، فلما رأى منهم هذه الحملة التفت إليهم قائلاً: وما الفائدة من هذه الثياب إذا كنتم تصرون على اعتقادكم بأن يوم القيامة واقع غدًا أو بعد غد لا محالة..؟

أبكي على المرحومة أمك

جلس مع زوجته لتناول الطعام فأخذت ملعقة من الشوربة، وكانت ساخنة جدًا فدمعت عيناها، فسألها عن سبب بكائها فقالت:

- تذكرت المرحومة أمي فإنها كانت تحب هذا النوع من الشوربة، ولكن جحا ما كاد يبتلع ما في ملعقته حتى سالت دموعه بكثرة فسألته:
- وأنت لماذا تبكي أيضًا..

- إنني أبكي على المرحومة والدتك التي ماتت وتركتك لي.

من شوقي نسيت ثيابي

سمع صباح يوم حركة غريبة وهو نائم علـــى الفــراش، فسأل فعلم أن العربة ذاهبة إلى (سيوري حصار) فنهض في الحال، ولحق العربة فتعلق بها عاريًا..

وركب وهي سائرة حتى وصل إلى القرية ورآه أهلهـــا، فتعجبوا من عريه وقالوا له:

- ما هذا يا سيدنا..؟

فقال:

- شوقي إليكم أنساني ثيابي في البيت..

اللفت المحشو بالجزر

جاءه رجل وفي يده بيضة وقال له:

- إذا عرفت ما بيدي أعمل لك منه أكلة عجة.

فأجابه جحا:

- صف شكله ولونه.

قال:

- هو بيضاوي الشكل خارجه أبيض وداخله أصفر..
- عرفت أنه لفت فرغوا ما بداخله وحشوه جزرًا..

أنا لست تاجر أيام وشهور

سأله أحدهم.

في أي يوم من الشهر الآن..؟

قال:

- ومتى كنت تاجر أيام وشهور حتى أجيب على سؤالك.

بائع سلالم

قصد أحد البساتين المقفلة يحمل سلمًا فأسند السلم على السياج، وتسلقوا حتى إذا وصل إلى السياج سحبه وأنزله من الداخل، ثم نزل من عليه، فرأى البستاني ينتظره عند أسفل السلم وقول له:

- من أنت.. وماذا تفعل هنا..؟

قال: أنا بائع سلالم.

- ومتى كانت السلالم تباع هنا..؟

فأجابه:

- ما شاء الله.. ألا تعلم أن السلالم تباع في كل مكان..

لم يكن ابني

قالت له زوجته:

خذ هذا الطفل ولاعبه قليلاً حتى أستطيع أن أنتهي من أعمال البيت..

فحمله جحا وأخذ يدور بالطفل في المنزل.. وبعد لحظات بال عليه الطفل.. فغضب الشيخ جحا وبال على الطفل من رأسه إلى قدمه.. فجاءت زوجته غاضبة وهي تصيح به..

- ماذا فعلت يا مجنون..

فأجابها بحدة:

- امرأتي.. امرأتي... احمدي الله تعالى أنه لم يكن ابني، لكنت فعلت معه أكثر من ذلك.

لماذا أنقل أصابعي..؟

كان في مجلس فأعطوه عودًا ليعزف عليه.. وقالوا له:

- اسمعنا يا جحا شيئًا من ألحانك..

فأخذ العود وبدأ يضرب عليه من أسفل إلى أعلا بصوت مزعج فقالوا له:

- ما هكذا يكون العزف.. فينبغي أن تلعب أصابعك على الأوتار حسب الأصول..

فأجابهم:

- إذا لم توجد النغمة فلماذا أتعب نفسي بإيجادها وأنقل أصابعي من أجلها..؟!

الهدية

حمل إليه أحد الفلاحين أرنبًا على سبيل الهدية، وكان يشتهي لحم الأرانب من زمن بعيد ففرح به فرحًا عظيمًا، وقال لنفسه يجب أن أبالغ في إكرام هذا الرجل فلعله يقدم لنا هدية أحسن من الأرانب.

ومضى أسبوع وكان الأرنب قد صار في خبر كان.. إذ نسيه ونسي صاحبه الذي أهداه إليه.. وإذ به يجد فوق رأسه رجلاً يذكر أنه رآه من قبل.. ولكن من أين.. ومتى كان ذلك؟ فلما سأله عن نفسه قال إنه صاحب الأرنب.. فاحتفى به وأكرمه ظنًا منه أن الرجل ما عاد لزيارته إلا لأنه يفكر في أن يحمل إليه عددًا من الأرانب.

وحضر أسبوع آخر وإذا بأربعة من الفلاحين يدخلون عليه الدار لم يعرفهم من قبل.. فقال في نفسه.. إن هذه الوجوه لا أعرفها ولا يطيب لنفسي أن أعرفها.. وسألهم عن شأنهم فقالوا إنهم جيران صاحب الأرنب.

وقال في نفسه مرة أخرى:

"لا شك أنهم قد سمعوا عن إكرامي للرجل فهم يريدون أن يعرفوا طريق بيتي، ليحملوا لي هدايا من الأرانب فلا بأس من إكرامهم والتكفل بكل نفقاتهم..".

ومر أسبوع ثالث وإذ بثمانية من الفلاحين يقتحمون عليه الدار، فنهض من مكانه فزعًا وقال لهم:

- من أنتم.. وما شأنكم؟

فقالوا في صوت واحد..

- نحن جيران جيران صاحب الأرانب..

فقال جحا هاشًا باشًا..

- لا بأس في داركم حللتم، وعلى أهلكم نزلتم..

ثم نهض فأحضر إناء كبيرًا وملأها ماء ساخنًا، ثم حملها ووضعها بين أيديهم قائلاً:

- دونكم الطعام أيها الأصدقاء فكلوا ما تشتهون.

فنظروا إليه متعجبين وقالوا:

- ما هذا يا جحا..؟

فقال:

- ألستم جيران جيران صاحب الأرنب.

قالوا:

- نعم نحن جيران جيران صاحب الأرنب..

قال:

- وهذا مرق.. مرق الأرنب.

اعطني جبتي أعطيك بردعتك

نزل يومًا عن حماره لقضاء حاجته في مكان خال.. ووضع جبته على ظهر الحمار.. فمر به سارق الجبة وعاد جحا.. فلما لم يجد الجبة فأهوى بعصاه على الحمار، وجعل يضربه ويسأله أين الجبة.. وأخيرًا أعيته الحيلة لأن الحمار لم يخبره، فأخذ بردعته ووضعها فوق ظهره.. وجره قائلاً:

- اعطني جبتي أعطيك بردعتك..

أحوج منا

ذهب جحا وزوجته لغسل أمتعتهما على شاطئ بحيرة، فلما وصلا وضعا الأمتعة وجعلا عليها الصابون.. وعندئذ انقضى غراب فاختطف قطعة الصابون وذهب بها طائرًا في الفضاء فصاحت زوجة جحا:

- قم الحق الغراب سرق الصابون وذهب..

وجعلت تكثر من الصياح..

فأجابها بكل برود..

- ولم هذا الصياح.. أليست ثياب الغراب أوسخ من ثيابنا، فهو أحوج منا إلى الصابونة..

عندما كنت حيًا

خرج جحا يومًا ليحطب فصعد إلى شجرة ليقطع غصنًا منها، فوقف على الجانب الذي يقطعه، فقال له أحدهم.

- يا رجل ماذا تصنع الآن..؟

فلم يعره أذنًا صاغية، ولما انتهى من قطعه سقط على الأرض وأصاب جسمه وشج رأسه، فتحمل آلامه وأسرع على ذلك الرجل قائلاً:

- والآن علمت أنك من أهل الكشف، لأنك أخبرتني أني سأقع، فأخبرني عن وقت موتي..

وتعلق بأذياله راجيًا له ولم يدعه يذهب في سبيله، فلما أعيت الرجل حيله ولم يجد سبيلاً للخلاص من هذه الورطة قال له:

- متى حمل حمارك حطبًا ونهق النهقة الأولى خرج نصف روحك، فإذا نهق الثانية خرجت كلها..

واستأنف الرجل السير في طريقه.

واستأنف جحا السير بحماره، فمر بقافلة فيها حمير فنهق حماره فقال جحا:

- هذه أولى سكرات الموت.

وبعد قليل نهق ثانية فانتفض جحا وقال:

"أي والله لقد مت وانطرح على الأرض كالأموات" فمر عليه أهل القرية فظنوه ميتًا فأحضروا تابوتًا ووضعوه فيه وذهبوا إلى البلدة، فاعترضهم مستنقع عسر المرور، فوقفوا يتشاورون كيف يجتازون تلك الأوحال من هنا أم من هناك وأي الطرق أقرب وأقصر.

وبينما هم كذلك أخرج رأسه، وقال لهم مشيرًا إلى إحدى الجهات:

- عندما كنت حيًا كنت أمر من هناك.. ومع ذلك فأنتم مخيرون..

نلت مرادي

كان عند جحا ثور عظيم القرنين حتى كأنهما قوسين، وبينما الثور راقدًا يتأمل فيه، تمني لو يجلس ساعة بين قرنيه، فتقدم متأنيًا وقفز إلى رأس الثور فركبه وأمسك القرنين وانتفض الثور.. فغضبت زوجته وظنته قد مات، فأخذت بالصياح فأفاق من غشيته فقال:

- لا تبكي يا عزيزتي فأنا إن أصابتني هذه الأوجاع فقد نلت مرادي..

لا يهشم ولا يغمس

كان يأكل حليبًا (لبنًا) مع ثلاثة من أصدقائه، وكان كلما هشم الشيخ ورفيقه خبزًا في اللبن، وهما مشغولان في الحديث يتناول الثالث ما هشماه زعمًا عن إنذارهما له، ويزدرده فرآه الشيخ جحا فغضب وأخذ المغرفة ورفعها فوق رأسه ونزل بها على رأس ذلك العنيد؛ فاصفر وجهه وأغمي عليه حتى كاد يموت..

فلما رآه الشيخ كالأموات تعجب وقال له:

- هو لا يهشم ولا يغمس ولا يرفع يده من الصحن، وإذا ضربته بالمغرفة يتماوت.

قاضيان في النار وكذلك التاجر

ترافق قاضي وتاجر في الطريق مع الشيخ، فقال القاضي للشيخ:

- من كثر لغطه كثر غضبه، فهل غلط يومًا وأنت تعظ؟

فقال الشيخ ببداهة:

- نعم صادف مرة أن خرج مني لفظ (قاض في النار) بدل قاضيان في النار، ومرة أخطأت فقلت: إن التجار بدل (الفجار) لفي جحيم.

فأخجل الاثنين.

جحا والفلسفة

عندما كان تيمور لنك في مدينة (آق شهر) جاء دهري عالم، وعرض عليه بواسطة الترجمان أن لديه بعض الأسئلة، فإذا كان في المدينة علماء حاذقون ماهرون، فإني أريد اختبارهم.

فجمع تيمور لنك أشراف البلدة وقال لهم:

- لقد جاءكم عالم غريب يريد اختبار علماؤكم بالعلوم الطبيعية والفنون المادية ــ وهؤلاء السائحون قد أحاطوا بالعلوم والفنون، فإذا لم يقم في وجههم عالم يقابلهم يقولون إن بلاد الروم قد خلت من العلماء

وانتهى العلم فيها.. وإذا شاع ذلك عنكم تسقط هيبتكم في أعين الأمم.

فاجتمع الأشراف في غرفة، وتذاكروا مليًا بهذا الشأن، وأسفوا كثيرًا لقلة العلماء فيهم ثم قالوا:

- إن الأسف لا يفيد؛ فلنفكر بطريقة ندفع بها هذا الداهية.

فتحدثوا بجلب علماء من قونيه وقيصريه وغيرهما.. ثم فكروا بأن استحضار علماء غرباء من بلاد بعيدة أمر يطول شرحه، ويجعلهم موضع سخرية أمام تيمور لنك.

وأخيرًا اتفقوا على أن يستشيروا الشيخ نصر الدين جحا فبعثوا إليه مفاجأة، وعرضوا عليه ما هم فيه.. فتروى قليلاً ثم أجابهم..

- اتركوا لي هذا الأمر..

فقالوا مندهشين:

- وماذا تنوي أن تفعله..؟

قال واثقًا في نفسه..

- سأواجه هذا العالم وأباحثه، فإذا أجبته بجواب موفق وأسكته كان حسنًا.. وإذا لم أوفق إلى ذلك تقولون عني أني رجل مجذوب، وأنني جاهل ولا فائدة مني ثم تأتون بعالم غيري.. أما إذا وفقت فإني أريد من كل منكم جائزة.

فقالوا له:

- حسنًا ومهما أردت يكون لك إن شاء الله، وغاية قصدنا هو مواجهة هذا العالم الغريب.

وفي يوم معين نصبت الخيام في ساحة البلدة، وجلس تيمور لنك هو وحاشيته، وقد تسلحت الجنود وهيئت أسباب الحفلة بصورة مدهشة..

وجاء ذلك الدهري العجيب الشكل بشعره المنفوش، وهيئته الغابرة، فجلس بالقرب من الهيئة السلطانية.. وعفى المجلس بالحضور، وكلهم في انتظار حضور الشيخ.

وأتى الشيخ بعمامة كبيرة وجبة جديدة وقفطانًا زاهيًا براقًا، وخلفه تلميذه وبعض الطلبة ودخلوا المجلس، فجلس الشيخ على يمين تيمور لنك..

وبعد أن أكلوا وشربوا واستمعوا إلى بعض الموسيقى، وقد أخذوا قسطًا من الراحة.. تقدم الدهري إلى الوسط ورسم دائرة وانتظر الجواب.. ناظرًا إلى وجه الشيخ.

فقام الشيخ واضعًا عصاه بنصف الدائرة تمامًا وشطرها شطرين ونظر إلى الدهري، ثم خط خطًا آخر.. وقسم الدائرة إلى أربعة، ثم جعل ثلاثة منها إلى جهته وأشار بيده.. وواحدة منها إلى جهة الدهري.. وأرسل يديه خلف ظهره ناظرًا إلى الدهري في تحد.

فأشار إليه الدهري مجندًا عمله بكل ارتياح.. وأعلمه أنه فهم مقصوده من ذلك.

ثم فتح الدهري يديه وجعلهما كالطوق، ونزل بهما من أعلى إلى أسفل وأصابعه مفتوحة، ورفعها إلى الفضاء عدة مرات..

فعمل الشيخ عكس ذلك وفتح أصابعه وهوى بها إلى جهة الأرض فقبل الدهري منه ذلك..

ثم إن الدهري وضع أصابعه على الأرض وصار يمشي مقلدًا مشي الحيوانات وأشار إلى بطنه كأنه يخرج شيئًا منها.

فأخرج الشيخ من جيبه بيضة وجعل يحرك يديه كأنه يطير.

فأعجب الدهري ذلك.. وتقدم إلى الشيخ باحترام وقبل يديه، وهنأ الملك وأشراف البلدة بوجود هذا الغلام النادر المثال، فسر الحاضرون وهنأوا الشيخ بانتصاره وأخذوا ينثرون الهدايا التي استحضروها، والنقود على الشيخ، ومنهم من وعده بالهدايا والعطايا الوافرة..

وكذلك أنعم عليه تيمور لنك بهدايا وافرة وعطايا فاخرة، حتى غنته وجعلته في مصاف ذوي اليسار.

وبعد أن انصرف القوم تقدم السلطان وبعض المقربين يسألون الدهري بواسطة الترجمان.

- نحن لم نفهم الإشارات التي تبادلتها أنت والشيخ جحا.. فأفهمنا معناها ومغزاها..

قال الدهري:

- نظرًا لاختلاف فلاسفة اليونان وعلماء بني إسرائيل بشأن خلق العالم، فإني أجهل العلماء بذلك.. فأحببت أن أتعلمه، فأشرت إلى أن الأرض كبيرة ومدورة، فصدق الشيخ على كلامي وقال: إنها مقسومة

شطرها شطرين، ثم شطرها أربعة فجعل ثلاث أقسام بطرفه، وقسمًا بجهتي مشيرًا بذلك إلى أن ثلاثة أرباع الأرض بحرًا وقسمًا واحدًا برًا، وأفادني أن الأرض سبع أقاليم.. ثم أشرت إليه عن المواليد وأسرارها برفع أصابعي في الهواء.. وهزها مشيرًا إلى النبات والأشجار والمنابع والمعادن وكيف تحصل.. فرفع الشيخ يده مشيرًا بذلك إلى النبات والأشجار والمنابع والمعادن وكيف تحصل.. فرفع الشيخ يده مشيرًا إلى أسفل وأن نزول المطر من السماء.. وقوة الشمس وتأثير الأجرام السماوية في الكرة الأرضية تساعد تلك المواليد على الإتيان بما حفها الله به من القوى الكامنة.. وأوضح ذلك على وجه موافق لقول الفلاسفة المتأخرين.. ثم أشرت إليه بنفسي عن توالد وتكاثر المخلوقات من بعضها بعضًا بالتناسل.. وتركت كثيرًا من تلك الأمور مبهمة، فأخرج لي بيضة من جيبه وأشار إليها كأنها تطير إشارة إلى صنف الطير من المخلوقات على هذا الوجه مجملاً.. فعلمت من ذلك أن عالمكم علامة

بالسماوات والأرضيات وكافة العلوم المعقولة والمنقولة، وأنه من أعظم الفلاسفة ويحق لكم عامة أن تفخروا بمثل هذا الفيلسوف في وطنكم.

ثم ودعوا الدهري بالإعزاز والإكرام وانصرف.

وبعد ذلك تقدموا إلى الشيخ واستوضحوا منه عن الأجوبة التي أجابها فقال:

- هذا الرجل جائع مثلي ولم يأكل منذ أيام.. فإنه عندما عمل دائرة بيده أشار بذلك إلى أن في البيت أمامه صدر طائر كهذه، فشطرته شطرين وقلت أقسمه أنا وأنت كالأخوين، فلما رأيته لم يفهم قسمته أربعة أقسام وجعلت لنفسي ثلاثة وله قسم واحد.. فرضي بذلك وهز رأسه.

ثم أشار إلى قدر أرز موضوع على النار، فأشرت إليه عن وضع الملح والبهار والفستق والزبيب فوقه.. وهكذا حددت هذه المسألة.. ثم أشار إليَّ عندما مشى على أصابعه مشيرًا إلى جوعه متحسرًا على طعام لذيذ.. فأشرت إليه أني جائع أكثر منك، وأني أكاد أموت جوعًا.. وأني قمت صباحًا

أعمل فطورًا، فلم أجد سوى بيضة واحدة وضعتها إياها فـــي جيبي احتياطيًا.

فقال الحاضرون ضاحكين:

والله هذا أمر عجيب.. فكيف طرح لك تلـــك المســـائل.. وكيف حللتها هذا الحل العجيب مع تفاوت القصة وإرضـــاء الطرفين..

وهكذا سر الحاضرون وتضاحكوا طويلاً وتفرقوا والحيرة آخذة منهم كل مأخذ.